وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

2013
Fac II To 2150

تخصص : حضارة عربية إسلامية

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر

الموسومة بـ :

مفهوم الحضارة
عند مالك بن نبي ورجاء غارودي

إعداد الطالبة :

السيدة: عائشة خالدي

تحت إشراف :

السيد: أ.د. أحمد دكار

السنة الجامعية:

1434هـ-2013م

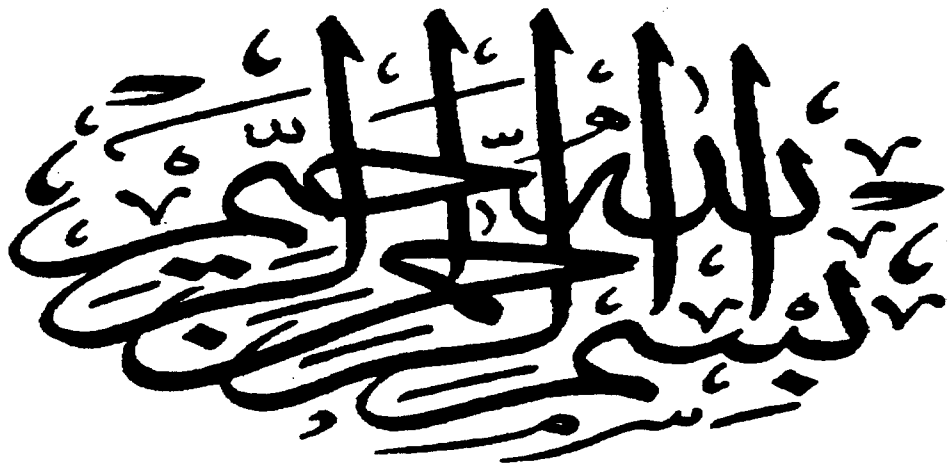

TAS_353_F3/01

شكر وعرفان

كلمة لا بد منها: شكرا.

شكرا ، لله عز وجل على توفيقه لنا على إنجاز هذا البحث المتواضع.

شكرا ، لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور أحمد دكار على صبره معي طوال فترة إنجاز هذه المذكرة.

شكرا ، للأستاذ الدكتور محمد بن عمر على قبوله رئاسة لجنة المناقشة.

وشكرا ، للدكتور عبد القادر بن عزة على قبوله مناقشة هذه المذكرة.

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى الوالدين الكريمين اللذين سهلا لي طريقي وأنارا لي دربي.

وإلى زوجي الكريم عبد الحفيظ وإلى الإخوة: سيدأحمد، إبراهيم، عبد الرحيم وإلى الأخوات: خديجة، زهية، فتيحة، وإلى كل الأقارب وكل صديقاتي وإلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحضارة هي نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وهي النتاج الحاصل ضرورة عن حركة المجتمع، حركة شاملة في مجال الفكر والاقتصاد، وفي رحاب التوازن الروحي والمادي، وبدون هذه المسألة لن يكون المجتمع مجتمعا، لأنه من شروط المجتمع البشري أن يكون له حضارة يرقى بها ومن خلالها دوما نحو الأفضل، ويصبح مغلوبا على أمره تائها عندما يُضيّع معالم حضارته، ومالك بن نبي ورجاء غارودي مفكران لهما وزنهما في العالم الإسلامي والعالم الغربي، اهتما بمسألة الحضارة فكانت أبرز المواضيع المتناولة في مؤلفاتهما.

موضوع الحضارة من أهم المواضيع التي تثار في عصرنا لما له من صلة قوية بواقعنا فهو يتعلق بمصير الشعوب، وما تطمح إليه من تقدم مادي بصفة عامة ومعنوي بصفة خاصة، وقد قامت عدة دراسات حول فكرة الحضارة نتجت عنها نظريات متعددة تحدد مفهوم الحضارة، وقد وقع اختياري على مالك بن نبي ورجاء غارودي لأهميتهما وحداثتهما، إذ هما مفكران عاشا وعاصرا المشاكل والأحداث المعاصرة.

الحضارة تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، وبما أن القلق هو صفة الجيل المعاصر في الغرب والشرق على السواء، تنبه كل من مالك بن نبي ورجاء غارودي إلى هذا المشكل وحاولا تحديده ثم علاجه، والإشكالية المطروحة هنا: هل تفسير كل من مالك بن نبي ورجاء غارودي للحضارة يمكن أن يرتقي إلى مستوى النظرية؟ وهل هذه النظرية صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان ؟.

إن طبيعة الموضوع هي التي تحدد نوعية المنهج الذي ينبغي أن يتبع، وبما أن موضوع البحث يتناول بالدراسة مشكلة الحضارة ومفهومها بين مالك بن نبي ورجاء غارودي فإن المنهج الذي فرض نفسه في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي دون أن نهمل المناهج الأخرى كالمنهج المقارن و المنهج الاستقرائي.

والبحث الذي أقوم به هو محاولة معرفة كيفية تحليل مالك بن نبي ورجاء غارودي لمشكلة الحضارة، والمقارنة بين التحليلين فنبين ما قد يكون بينهما من الالتقاء أو الاختلاف، فقسمت بحثي إلى: مقدمة، ومدخل خصصته لتعريف الحضارة عند بعض المفكرين، وفصلين، وخاتمة توصلت فيها لأهم النتائج ثم عنونت الفصل الأول بمفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وتضمن عناوين فرعية تمثلت في:حياة مالك بن نبي وظروف نشأته، نظرية مالك بن نبي في الحضارة الإسلام ومستقبله عند مالك بن نبي، أما الفصل الثاني خصصته لمفهوم الحضارة عند رجاء غارودي ويشمل العناوين التالية:روجيه غارودي حياته وظروف نشأته، الحوار الحضاري، الحوار الحضاري عند رجاء غارودي.

ولقد استقيت المعلومات من عدة كتب ألفها المفكران ومن أبرز كتب مالك بن نبي: شروط النهضة، القضايا الكبرى، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ومشكلة الثقافة، وأبرز كتب رجاء غارودي هي:حوار الحضارات، وعود الإسلام، والأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية.

وفي الأخير أتوجه بالشكر للأستاذ الدكتور أحمد دكار الذي قبل الإشراف على هذه المذكرة، وكان نعم السند ونعم الموجه في انجاز هذا العمل.

عائشة خالدي

تلمسان يوم: 05- 06-2013م

مدخل:

مفهوم الحضارة

الحضارة قديمة قدم الإنسان وتاريخه فلا حضارة بدون إنسان، ولا إنسان بدون تاريخ فالتاريخ نفسه هو تعبير حضاري بغض النظر عما يحتويه من سلبيات وايجابيات، وازدهار وانحطاط في مختلف مراحله.

الحضارة هي الوجه الآخر للإنسان، وهي المرآة العاكسة لذلك الإنسان، وجهاز لقياس قوته وضعفه وتطوره وانحطاطه، فالحضارة كالإنسان مادة وروح فلا توازن لها في حالة غياب أحد عنصريها عن الآخر، ولن تؤد رسالتها وتشق طريقها بشقها الروحي دون شقها المادي، ولا معنى لوجود هيكلها بدون روحها، فهي مولود إنساني سواء ولد سليما أو مشوها أو متوازنا أو فاقدا لتوازنه.

الحضارة هي نسيج مركب اجتماعيا وثقافيا وفكريا ونفسيا وتاريخيا ودينيا وتقنيا، وهي شديدة التعقيد والتداخل، والإنسان هو دائما عنكبوت نسيجها الحضاري، فالحضارة تراث إنساني للمسيرة الإنسانية شاركت فيه جميع شعوب وأمم العالم بنسب متفاوتة.

ولعل من نافل القول الإشارة إلى أن الحضارات مهما تفردت أو تنوعت إنما كانت قد أشرقت كلها تحت سماء هذه الأرض التي نعيش فيها، وبالتالي فإننا نستطيع التأكيد أن الكل مشاركون في صنع الحضارة الإنسانية العالمية، وإن بدرجات متفاوتة فالحضارة العالمية هي امتزاج حضاري خلال العصور والدهور كحلقات بنائية حضارية متصلة يكمل بعضها بعضا رغم توسعها الجغرافي وتعدد منابتها.

ولقد ذكر الفيلسوف والمؤرخ البريطاني" أرلوند توينبي"«أن التاريخ عرف منذ القدم إلى اليوم ستة وعشرون حضارة، أبرزها إحدى وعشرين حضارة لم يبقى منها إلا خمس حضارات هي: الحضارة المسيحية الغربية والحضارة المسيحية الشرقية والحضارة الإسلامية والحضارة الهندية وحضارة الشرق

الأقصى»[1] حيث اختلفت أعمار هذه الحضارات كما اختلفت شعوبها وأماكنها ودياناتها وألسنتها، ولقد رأى ابن خلدون أن الدول تتعاقب على أطوار ثلاث هي:

1-«طور البداوة: كمعيشة البدو في الصحارى والبربر في الجبال، والتتار في السهول وهؤلاء جميعا لا يخضعون لقوانين مدنية ولا تحكمهم سوى حاجاتهم وعاداتهم.

2-طور التحضر: حيث تأسيس الدولة عقب الغزو والفتح ثم الاستقرار في المدن.

3-طور التدهور: نتيجة الانغماس في الترف والنعيم»[2] ولقد استخدم ابن خلدون كلمة دولة بدلا من كلمة حضارة فجاءت نظريته ضيقة محددة بنطاق الدولة وغير شاملة لمفهوم الحضارة على حسب رأي مالك بن نبي.

وإذا أردنا تعريف الحضارة فلا نجد لها تعريف واحدا موحدا وشاملا بل نجد لها عدة تعاريف متنوعة ومتعددة تعكس مدى تعقيد موضوعها وعمق أفكارها وصعوبة الإحاطة بها، وهنا لابد من التمييز بين مصطلح المدينة ومصطلح الثقافة ومصطلح الحضارة.

فالمدينة«مشتقة من كلمة مدينة وهي تجمع بيوت يزيد عددها على عدد بيوت القرية ومَدَنَ فلان مدونا أتى المدينة وبناها، وتمدّن تخلق بأخلاق أهل المدن، وكلمة المدينة تدل على مرتبةٍ ساميةٍ وتطورٍ راقٍ، حيث تتجمع ظواهر وخصائص وكفاءات في المدن قلّ أن توجد في حياة الحضر وفي القرية»[3] وفي المدينة تبدو مظاهر التقدم العلمي والفنّي والفكري والأدبي والتّقني والآلي وغيرها، أما الثقافة فهي«مشتقة

[1] آمنة تشيكو:"مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرلوند توينبي"، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ب، د.ط، 1989، ص70 .

[2] المرجع نفسه، ص36.

[3] سلامة صالح النعيمات وآخرون:"الحضارة العربية الإسلامية"، الشركة العربية المتحدة، ط09، 2008 ، ص08.

من كلمة ثَقُفَ فلان صار حاذقا فطنا، والثقافة تعني العلوم والمعارف والفنّون التي يُطلب الحذق فيها»[1]وهذا المعنى قصده "فولتير" عندما تحدث عن حالة صقل العقل والذوق والفكر، وعندما تحدث عن المعارف الفّنية والعلمية والفلسفية القابلة للتعلم، وفكرة الثقافة حديثة جاءتنا من أوربا وهي تقترن دائما بالكلمة اللاتينية culture، ومعنى هذا أنها لم تكتسب بعد في العربية قوة التحديد، ولقد تحدث المفكر والمصلح الجزائري المشهور مالك بن نبي عن مفهوم الثقافة وخصص لها كتابا كاملا عنونه بـ«مشكلة الثقافة» حيث وجد تعددا في وجوه الثقافة وصعوبة في وضع لها مفهوما شاملا وواضحا وأصل ثَقُفَ أصل لغوي يتصل تاريخه بلغة ما قبل الإسلام[2]، حتى لنراه قد ورد في بعض آيات من القرآن الكريم من مثل قول الله تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾.[3]

وأما الحضارة فهي تشمل«كل مظهر من مظاهر الإنتاج البشري، وغالبا ما يحددها سلوك الإنسان وطريقة معيشته وتفاعله مع بيئته، وتختلف كل حضارة في مظهرها عن الحضارات الأخرى فلكل حضارة سواء أكانت قديمة أم حديثة مظاهر مميزة، فالحضارة تشمل كل ما يتعلق بالنظم الاجتماعية والسياسية والفكرية والفنية»[4]وهي تضم جميع نواحي الحياة من مظاهر البداوة إلى حياة القرية والمدينة وكذلك تطور هذه الحياة ونموها وازدهارها، وعرّف ابن خلدون الحضارة قائلا:«هي التفنن في الترف واستجادة أحواله والكَلَفْ بالصنائع التي تؤنق من أصنافه وسائر فنونه، ومن الصنائع المهيئة للمطابخ أو

[1] سلامة صالح النعيمات وآخرون:"الحضارة العربية الإسلامية"، ص09.

[2] يُنظر، مالك بن نبي "مشكلة الثقافة"، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، سوريا، ط4، 1984، ص 25.

[3] سورة البقرة، آية 191.

[4] سلامة صالح النعيمات وآخرون:" الحضارة العربية الإسلامية"، ص09.

الملابس أو المباني أو الفرش أو الآنية ولسائر أحوال المنزل...»[1]ولقد استعمل لفظ حضارة أول مرة استعمالا علميا في «القرن التاسع عشر عندما ذكرت لفظة حضارة في قاموس الأكاديمية الفرنسية سنة 1835م ومعناها عكس توحش»[2]وهو نفس التاريخ الذي ذهب إليه مالك بن نبي« أول استعمال وتفسير الواقعة الاجتماعية في إطار ظاهرة معينة هي الحضارة كان في القرن التاسع عشر»[3]وهنا نلاحظ البعد الأنتروبولوجي عند مالك بن نبي في تعريفه لمفهوم الحضارة الذي يؤسس للغرض العلمي، حيث احتلت مسألة الحضارة مكانة مركزية في فكره فأحاط بها من جميع جوانبها التاريخية والتربوية والنفسية والوظيفية وباعتبارها ظاهرة كونية، فعبر بن نبي عن تأملاته العميقة لواقع المسلمين وخروجهم من التاريخ ومن خلال ملاحظاته حول أنموذج ما بعد الموحدين الخارج من الحضارة، والأمراض التي رمت به في أحضان الاستعمار والمشكلات التي تعيق نهوضه وجوهر الصراع مع الغرب، توصل بن نبي إلى حكم مؤداه أن مشكلة كل شعب في جوهرها مشكلة حضارية.

وقد جاء في لسان العرب لابن منظور«أن الحضارة هي ضد البداوة وهي الإقامة في الحضر»[4]وعُرّفت الحضارة كذلك في دائرة المعارف القرن العشرين:«بأنها الإقامة في الحضر وخلاف

---

[1] محمد محمد حسين: "الإسلام والحضارة الغربية"، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1982، ص06.

[2] بن براهيم الطيب: "مواقف وأفكار مشتركة بين مالك بن نبي وابن خلدون"، دار مدني، الجزائر، د.ط، 2008، ص 51.

[3] مالك بن نبي: "شروط النهضة"، ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي، دار الفكر، دمشق، د.ط، د.س، ص62.

[4] ابن منظور:"لسان العرب"تحقيق عامر أحمد حيدر، وراجعه عبد المنعم خليل إبراهيم، مجلد1، دار الكتب العلمية، لبنان، د.ط ص186.

جوانب نشاطه ونواحيه عقلا وخلقا، مادة وروحا، دُينا ودِينا،[1] والذي يهمنا هنا ليس الجانب اللغوي بل بل الجانب الأنثروبولوجي والأنتولوجي والأتنوغرافي للحضارة.

لقد عرّف المفكرون والمؤرخون مفهوم الحضارة بتعاريف لا تعد بحيث لا نجد تعريفا واحدا اتفق عليه بعض المفكرين فمالك بن نبي يعرف الحضارة قائلا:«أن حضارة ما هي نتاج فكرة جوهرية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر الدفعة التي تدخل به التاريخ»[2] ومعنى قوله أن الحضارة هي التي تضفي على المجتمعات البدوية صفة التطور واللحاق بركب الدول المتقدمة، ثم يقول:«ويمكن تعريف الحضارة في الواقع بأنها جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكل عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره»[3] أي أن هنالك مجموعة عوامل تساعد المجتمعات على التطور إذ يقول مالك أيضا:«وفي استخدامنا للمصطلحات البيولوجية نجد أن الحضارة مجموعة من العلائق بين المجال الحيوي البيولوجي حيث ينشأ ويتقوى هيكلها، ومن بين المجال الفكري حيث تولد وتنمو روحها»[4] روحها»[4] ثم يضيف قائلا في موضع آخر:«هي مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه»[5] حيث حدد بن نبي هنا مجموعة من العوامل البيولوجية والأخلاقية

---

[1] ينظر، مجدي وهبة وكامل المهندس:"معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب"، مكتبة لبنان، ط2، 1984، ص151.

[2] مالك بن نبي:"مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي"، ترجمة بسام بركة وأحمد شعبو وتقديم عمر مسقاوي، دار الفكر دمشق، د.ط، د.ط، 2002 ، ص41.

[3] المصدر نفسه ، ص42.

[4] مالك بن نبي:" شروط النهضة" ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي، ص43.

[5] مالك بن نبي: "القضايا الكبرى"، ، دار الفكر، دمشق، د.ط، 1991، ص43.

والمادية التي تؤثر على السير الحضاري سلبا أو إيجابا بحسب استغلالنا لها، كما أوجد بن نبي عناصر للحضارة وهي تشكل معادلة كيميائية إذا نجحت وتفاعلت مع بعضها تتفاعل معها الحضارة وهي في رأيه:«إنسان + تراب + وقت = حضارة»[1] وهذا التركيب حسب مالك بن نبي يتفق مع ميلاد مجتمع معين، كما أن العامل الذي يؤثر في مزج العناصر الثلاثة بعضها ببعض هو الفكرة الدينية التي رافقت دائما تركيب الحضارة خلال التاريخ.

أما الدكتور حسين مؤنس فعبّر عن مفهوم الحضارة بقوله:«هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته سواء أكان الجهد المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودا أو غير مقصود وسواء أكانت الثمرة مادية أو معنوية»[2] و"تايلور" يقول الحضارة هي ذلك الكل المركب الذي يحتوي على المعرفة والمعتقد والفن والخلقيات والقانون والعادات، وكل قدرات واعتيادات أخرى يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع[3]، أما "ليتري" فيقول:«هي مجموع الآراء والعادات والتقاليد التي تنتج من الفعل المتبادل للفنون الصناعية والدين والفنون الجميلة والعلوم»[4] ويضيف "شبنجلر" قائلا:«هي نَفَسْ بلغت التعبير عن ذاتها بأشكال محسوسة ومعقولة لكل هذه الأشكال هي حية متفتحة ووَلُود ويوجد رحمها داخل الكينونة المصعدة للأفراد والجماعات...»[5] أي أن جذور الحضارة تنبع من الأفراد الذين يكوّنون المجتمعات، بحيث ينتج عنهم مجموعة من العادات والتقاليد بالإضافة إلى مخلفاتهم المادية من بناء وعمران

[1] نور الدين خندودي:"شهادات ومواقف مالك بن نبي، عالم الأفكار، الجزائر،د.ط، 2008، ص12.

[2] بن براهيم الطيب: "مواقف وأفكار مشتركة بين مالك بن نبي وابن خلدون"، ص 52.

[3] ينظر، المرجع نفسه، ص52.

[4] المرجع نفسه، ص52.

[5] أسوالد شبنغلر:" تدهور الحضارة الغربية"، ترجمة أحمد الشيباني، جزء1، دار الحياة، بيروت، د.ط، د.س، ص5 .

كل ذلك يصنع لنا حضارة، ويقول أيضا:«ليست الحضارة شيئا عظيما فقط، بل بكليتها شيء لا يماثله أي شيء آخر في هذا العالم العضوي فهي النقطة الواحدة التي يسمو عندها الإنسان بنفسه فوق الطبيعة، ويصبح هو نفسه خالقا»[1]والحضارة عند "تونبي" تبدأ في الإنسان مع بداية تحضره فوعي الإنسان لنفسه أو ميلاد ما يسمى الضمير، ويعتبر تاريخ بداية حضارة أو بداية وجوده كمخلوق متميز بنفسه عن سائر الحيوان، وقادر على صنع الحضارة ومدرك لبعض القيم الإنسانية[2]، إذن فهذه الآراء المصاحبة للحضارة بين المفهوم والمصطلح متشعبة ومتداخلة فيما بينها، فهي لا تخرج عن ذكر أهمية الإنسان وما يحط به من عوامل بيولوجية وعوامل ثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية...

أما عن مفهوم الحضارة عند المحدثين فتحمل معنيان: أحدهما موضوعي والآخر ذاتي مجرد فالمعنى الموضوعي«هو إطلاق لفظ الحضارة على جملة من مظاهر التقدم الأدبي والفني والعلمي والتقني التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات متشابهة، نقول الحضارة الصينية والحضارة الأوروبية وهي بهذا المعنى متفاوتة فيما بينها، ولكل حضارة نطاقها وطبقاتها ولغاتها»[3]فنطاقها هو حدودها الجغرافية وطبقاتها هي آثارها المتراكمة بعضها فوق بعض في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات، ولغاتها هي الأداة الصالحة للتعبير عن الأفكار السياسية والتاريخية والعلمية والفلسفية وعن التقدم الفكري والعلمي عند الإنسان.

---

[1] أسوالد شبنغلر:" تدهور الحضارة الغربية"، ترجمة أحمد الشيباني ، ص487.

[2] ينظر، حسين مؤنس:"الحضارة" دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة، الكويت، ط2، د.س، ص94.

[3] آمنة تشيكو:" مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرلوند توينبي"، ص19.

وأما بمعناها الذاتي المجرد فتطلق على«مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني المقابلة لمرحلة الهمجية والتوحش أو تطلق على الصورة الغائية التي تستند إليها في الحكم على صفات كل فرد أو جماعة فإذا كان الفرد متصفا بالخلال الحميدة المطابقة لتلك الصورة الغائية قلنا انه متحضر وكذلك الجماعات فإن تحضرها متفاوت بحسب قربها من هذه الصورة الغائية أو بعدها عنها»[1] فالكلام عن الحضارة بهذا المعنى لا يخلو من التقويم والتقدير أي من الحكم على الحضارات بالنسبة للصورة التي تتركها في الأذهان.

ويرى الفيلسوف والمفكر الفرنسي المسلم رجاء غارودي أنه «لا توجد حضارة في جزيرة ما وإنما الحضارة منذ نشأتها الأولى تتألف من شبكة انتشار كلي»[2]فهي ليست خاصة بل هي شاملة، وفي ذروة العصر الذي كان الأوربيون يهيمنون فيه على العلم فكريا وسياسيا جرى تصور الحضارة أولا بصيغة المفرد وصنف من خارجها بالمتوحشين، وتم تصنيف العالم على أساس شعوب بدائية وشعوب متحضرة[3]، وبعد وبعد إقبال رجاء غارودي إلى الإسلام حاملاً معه تجربته الطويلة والثرية في النصرانية والماركسية مؤكداً أنه وجد في هذا الدين ما كان يبحث في غيره سابقاً توصل لرؤية الإسلام كبديل ممكن للحضارة الغربية إذا ما خرج عن انكفائه على ذاته، وتخلص من خصوصياته الشرقية وقراءة أهله بعيون الأحياء لا بعيون الأموات، وانفتح على مشكلات العالم الأساسية ويرى رجاء غارودي في الديمقراطية الغربية أنها ليست النظام الأمثل الذي يمكن أن يحل مشكلات العصر الرئيسية، وذلك أنها ومنذ بداياتها قامت على أساس

[1] آمنة تشيكو:" مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرلوند توينبي"، ص19.

[2] روجيه غارودي:" في سبيل حوار الحضارات"، تعريب عادل العوا، عويدات، بيروت، ط4، 1999، ص156 .

[3] أبو المجد أحمد :"رجاء غارودي"رحلة فكر وحياة، دار البعث، الجزائر، د.ط، 1983، ص52 .

التفرقة والتمييز، وأنها في النهاية ذريعة لبسط مزيد من السيطرة على العالم لصالح الطرف الأقوى وهو الغرب وهنا حدد غارودي ثلاثة شروط حتمية لإحداث التغيير هي:

-«تغيير للبنى: لا رأسمالية، ولا بيروقراطية تقنية ستالينية.

-تغيير للضمائر: لا دين أفيون للشعب، ولا إلحاد وضعي.

-تغيير مشروع الحضارة: ثورة ثقافية»[1] حيث يرى غارودي أن الحضارة الغربية اتخذت شعار"النمو للنمو"دون مراعاتها لأي هدف إنساني حقيقي، وهذا ما انعكس على دول العالم الثالث من سلب ونهب لثرواته، وإفقار شعوبه بغية تركه تحت سيطرة الدول الغربية، كما يؤكد غارودي أن سعادة المرء تكمن في الحياة الآخرة الحقيقية، وما الحياة الدنيا إلا طريقا ومنعطفا للوصول لتلك السعادة، ويكون ذلك بالتحلي بالإيمان المناضل والخلاق على حد تعبير غارودي.

كما يبين غارودي أن صدام الحضارات الذي تروج له دوائر صناعة القرار في الغرب ليست بأمر حتمي بقدر ما هو خيار غربي لاستكمال حلقات السيطرة على العالم وأمركته، إذ يقول غارودي على لسان "سيمون وايل"(فيلسوف اشتهر بكتابه La pesanteur et la grace):«نعرف جيدا أن أمركة أوروبا بعد الحرب تشكل خطرا بالغا ونعرف جيدا، ما سنفقده لو تحققت هذه الأمركة، فأمركة أوروبا ستقود بلا شك إلى أمركة الكرة الأرضية كلها...وستفقد الإنسانية ماضيها»[2] وهنا الإشارة واضحة

[1] روجيه جارودي:"لماذا أسلمت "نصف قرن من البحث عن الحقيقة، محمد عثمان الخشن، مكتبة القرآن، القاهرة، د.ط، د.س، ص49.

[2] روجيه غارودي:"الولايات المتحدة طليعة الانحطاط"، نقله للعربية مروان حموي، دار الكتاب، د.ط، 1998، ص4.

واضحة إلى الهيمنة بكل أشكالها، وإن هذه الحضارة حسب غارودي مآلها للزوال «إن حضارة تقوم على هذه الموضوعات الثلاث:

- تحيل الإنسان إلى العمل والاستهلاك.

- تحيل الفكر إلى الذكاء.

- تحيل اللانهائي إلى الحكم، إنها حضارة مؤهلة للانتحار»[1]وأن الحضارة الغربية عملت على فصل الثقافة الإغريقية عن أصولها الشرقية، وعملت كذلك على تهويد النصرانية، وتنكرت لدور الثقافة الإسلامية التي أيقظت أوروبا وأخرجتها من قرونها المظلمة، وبالتالي فإن حضارة تقوم على مثل هذه العوامل التي تحمل فيها جرثومة الفناء فلا مستقبل لها عدا الانهيار، وفي كتابه«حوار الحضارات»ذكر رجاء غارودي الجرائم التي يرتكبها الغرب ضد البشرية، وعدم سعيهم إلى خلق نوع من الحوار والتعايش بين الشعوب الآسيوية والأفريقية والعربية، كما يفضح الإنسان الأبيض واتهامه بعرقلة ثقافة الحوار بين الإسلام والغرب «إن الحوار سيكون عبثا لا طائل منه بل يمنى بالإخفاق، إذا ظلت عقيدة أحد أطرافه غير مصقولة من صدأ قرون السيطرة والاضطهاد... وأن أكبر افتراء يجب تفنيده وفضحه هو الزعم القائل: إنه لابد من اقتفاء أثر الغرب إذا ما أراد العالم الثالث تحقيق تقدم اقتصادي»[2]وبين لنا أن حضارتهم الغربية لا تساوي شيئا بالنسبة للحضارات العريقة منذ آلاف السنين.

لقد أكدّ رجاء غارودي على الحوار بين الغرب والإسلام، وهي الدعوة التي ظهرت واضحة ومتجلية في الكتاب الذي أصدره سنة1981م بعنوان «وعود الإسلام» وفي كتابه أيضاً «الإسلام في

[1] روجيه غارودي:" في سبيل حوار الحضارات"، ترجمة عادل العوا، ص37 .

[2] روجيه جارودي:" لماذا أسلمت؟"نصف قرن من البحث عن الحقيقة، محمد عثمان الخشن، ص86.

الغرب: قرطبة عاصمة الروح والفكر» فقد اعتبر أن العقبة الرئيسية التي تقف في وجه حوار الحضارات هي النظرة التي حملها الغرب منذ مئات السنين عن الإسلام، وإن النظرة للإسلام في رؤية رجاء غارودي إنما تتعلق بمستقبلنا مستقبل البشرية الذي يتعرض مصيره للخطر، فالإسلام قوة حية ليس كامناً فقط في ماضيه، وإنما في كل ما يمكن أن يقدمه لصنع المستقبل، وقد تأكدت قناعة رجاء غارودي بالإسلام الذي أعلن اعتناقه له سنة 1982م «إن الانفتاح الشامل في الإسلام على كافة الديانات التي ليست كلها إلا لحظات من العطاء في الملحمة الإنسانية وعملية خلق مستمر ينجزه الإنسان عن طريق الله الذي يسكن فيه، إن هذه الميزة في الإسلام جعلت منه أكبر قوة روحية قادرة على الاستيعاب والاحتواء»[1] حيث وجد غارودي في الإسلام الأبعاد الإنسانية المطلوبة والفرص المفقودة في أنظمة الغرب الثقافية والفلسفية والاجتماعية والاقتصادية لذلك أولى أهمية للدفاع عنه والتعرف عليه واكتشاف جمالياته فركز غارودي نقده على الغرب في رؤيته، وأنماط تعامله مع الإسلام ومع التراث الإسلامي الذي يصفه بالتراث الثالث المكوّن للتراث الغربي، والذي رفضه الغرب منذ ثلاثة عشر قرناً حسب رأيه، التراث الذي كان باستطاعته مساعدة غارودي بالتعرف على الأبعاد الإنسانية التي انفصل عنها، حيث جاء في قوله إننا ندين كذلك للعلم العربي بكليات الطب الفرنسية الأساسية، وقد كانت «مونبلييه» في طليعتها وقد ظلت كتب الطب العربية مثل كتب الرازي الشهيرة تنشر وتدرس حتى القرن السادس عشر في فرنسا وحتى منتصف القرن التاسع عشر في انكلترا، وكان العرب منذ القرن الثامن يجرون عملية سحب الماء الأزرق بإبرة جوفاء، وقد عرفوا الجبر بأكثر مما نعترف لهم به الشاعر عمر الخيام الذي توصل إلى حل

[1] روجيه جارودي:" لماذا أسلمت؟ "نصف قرن من البحث عن الحقيقة، محمد عثمان الخشن، ص95.

معادلات الدرجة الثالثة، وعندما غدت أوربا غير قادرة في مستهل القرن التاسع على معرفة القراءة افتتح الخليفة المأمون في بغداد مكتبة ضخمة هي دار الحكمة، وقد أخذ الجغرافيون والفلكيون العرب المكلفون برسم الخرائط الضرورية لإدارة إمبراطوريتهم، وفي حقل الكيمياء نحن ندين للعرب بمعرفتنا للكحول والقلوي والأنبيق، وكان العرب منذ أيام هارون الرشيد الذي عاصر شارلمان يصنعون الورق من القطن[1]...واستطاع غارودي بفكره النقدي ومعرفته الواسعة وانفتاحه على الثقافات غير الأوروبية أن يجد يجد أزمة حضارية عميقة في الغرب والحضارة الغربية، ولا سبيل لتجاوز هذه الأزمة وتداركها في نظره إلا بالانفتاح على الحضارات الأخرى غير الأوروبية، والتحاور معها والتعلم منها «فحوار الحضارات هو وحده الكفيل أن يعطي الإنسان المعاصر بعده الروحي المفقود، وبهذا الحوار يمكن أن يولد مشروع كوني يتسق مع اختراع المستقبل»[2]هذه النظرية التي كونها رجاء غارودي لحوار الحضارات أراد بها أن يخاطب الغرب بصورة أساسية حيث يرى هناك أزمة في الثقافة الغربية «نحن نعيش في هذا الربع الأخير من القرن العشرين أزمة عميقة في الثقافة الغربية، وفي النمو الفاوستي الذي توحي به وهذا النموذج الفاوستي قد ولد مما يسمى عصر النهضة الغربية التي لم تكن ظاهرة ثقافية وحسب بل أيضا مولد الرأسمالية والاستعمار المواكبين»[3]فنتج عن النهضة الأوروبية الكثير من المصطلحات كالعلمانية والليبرالية الرأسمالية والديمقراطية، والتي تصب كلها في خدمة الغرب ونشر الخراب على مستوى الدول المستضعفة.

---

[1] ينظر، أبو المجد أحمد :"رجاء غارودي"رحلة فكر وحياة، ص 98، 99، 100 .

[2] روجيه جارودي:" لماذا أسلمت؟"نصف قرن من البحث عن الحقيقة، ترجمة محمد عثمان الخشن، ص55.

[3] روجيه غارودي :"في سبيل حوار الحضارات"، ترجمة عادل العوا، ص34.

وفي الأخير يمكننا القول أن الحضارة ليست وليدة عهد معين أو حقبة زمنية معينة بل هي نتيجة تفاعلات ونشاطات حضارية تكشفت عبر الزمن فأدت إلى ولادة نمط حضاري معين ومما لاشك فيه بأن عوامل عديدة قامت بدورها في تكوين الحضارات الإقليمية والحضارة العالمية مثل:العوامل الطبيعية والسلم والاستقرار والزراعة والصناعة والتجارة والمفاهيم الدينية والأخلاقية[1]...ومن هذا المنطلق اختلفت الحضارات عن بعضها البعض عبر الزمان والمكان.

[1] ينظر، حسان حلاق:"ملامح من تاريخ الحضارات"، الدار الجامعية، بيروت، د.ط، 1991، ص182.

الفصل الأول:

مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي

أولا: حياة مالك بن نبي وظروف نشأته.

ثانيا: نظرية مالك بن نبي في الحضارة.

ثالثا: الإسلام ومستقبله عند مالك بن نبي.

1- حياة مالك بن نبي وظروف نشأته:

يعتبر مالك بن نبي من أبرز الرواد المسلمين المعاصرين في الفكر الحضاري إذ قبل أن يهتم بشؤون وشجون عالمه الإسلامي الممزق ووضعه الحضاري الذي يرثى له، خاض في الفكر التاريخي والاجتماعي والفلسفي، واضطلع على فلسفات الحضارة وتمثلها تمثلا عميقا واستلهم في أحايين كثيرة أعمال بعض الفلاسفة الغربيين.

أ- حياته:

ولد مالك بن عمر بن لخضر بن مصطفى بن نبي مساء الأول من جانفي سنة 1905م[1] وانتقل في صغره إلى مدينة تبسة حيث زاول تعليمه الابتدائي بها بالمدرسة الفرنسية على الطريقة النظامية الحديثة،[2] وموازاة مع ذلك كان يتردد على المدرسة القرآنية لحفظ القرآن على الطريقة التقليدية،[3] وفي هذا الصدد يقول بن نبي:«كنت أقصدها كل يوم في الصباح الباكر لأكون فيما بعد عند الثامنة صباحا في المدرسة الفرنسية»[4] لكنه فيما بعد انقطع عن مزاول الدراسة بالكتاب، واستمر بالمدرسة الابتدائية لأنه لأنه كما يرى لم يستطع على الرغم من السنوات الأربع التي قضاها حفظ سوى عدد قليل من السور القرآنية، وبعد إنهائه للمرحلة الإعدادية بتفوق انتقل إلى قسنطينة لإتمام دراسته الثانوية سنة 1920م

---

[1] ينظر، فيصل بن قرطبي:"مالك بن نبي- ابن خلدون القرن العشرين-"، إشراف فيصل فرحي، مذكرة لنيل شهادة الليسانس، جامعة يحي فارس، المدية، الجزائر،2010 ، ص8.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص8.

[3] ينظر، مالك بن نبي:"مذكرات شاهد القرن" الطفل، دار الفكر، سوريا، د.ط، 1969، ص19.

[4] المصدر نفسه، ص24.

وكان بن نبي يتلقى دروسه بالفرنسية ويتردد إلى جانب ذلك على دروس النحو العربي بالجامع الكبير وبعد تخرجه متفوقا من الثانوية سنة 1924م قرر السفر إلى فرنسا مع صديق له، ولم يكن الأمر سهلا ففشل في إيجاد عمل مناسب حيث عاد أدراجه...وفي الجزائر نجح أولا في العمل كمساعد كاتب بمحكمة تبسة ثم نجح في أن يحصل على وظيفة بمحكمة آفلو في1927م[1]، وانتقل بعدها في العام نفسه نفسه إلى العمل بمحكمة شلغوم العيد لكنه سرعان ما استقال منها.

قرر مالك بعدها معاودة السفر إلى باريس في سنة1930م وسارع إلى تسجيل نفسه بمعهد الدراسات الشرقية لكنه رفض، وكان بن نبي ميالا إلى دراسة العلوم التطبيقية والرياضيات خاصة، فقرر بعد نصيحة من زميل له فرنسي أن ينتسب لمدرسة اللاسلكي لدراسة الهندسة الكهربائية[2]، وفي سنة 1931م تزوج من فتاة فرنسية كان اسمها "سيليستي بول فيليبون" تعرف عليها في نادي جمعية الشباب المسيحي في باريس الذي كان يتردد عليه، وقد هداها الله لاعتناق الإسلام وتسمت بخديجة،[3]وقد كانت كانت نِعمة الزوجة تعرف من خلالها على أهلها وعلى فرنسا حيث كانت إقامته إلى أن تخرج كمهندس كهربائي سنة 1935م[4]، ثم بدأ يفكر بالسفر إلى الحجاز ومصر ليقيم مشاريع عمل هناك لكنه فشل ففكر بالسفر إلى اليابان وأفغانستان لكنه فشل كذلك،[5]بعدها بدأ مالك بن نبي يحس بخيوط عنكبوتية تضعها أجهزة مختصة في الصراع الفكري مسلطة على أبناء المستعمرات والمثقفين منهم على وجه

[1] ينظر، مالك بن نبي "مذكرات شاهد القرن"الطفل، ص192.

[2] ينظر، مالك بن نبي:"مذكرات شاهد القرن" الطالب، دار الفكر، سوريا، د.ط، 1980، ص203.

[3] ينظر، بن براهيم الطيب:"مواقف وأفكار مشتركة بين مالك بن نبي وابن خلدون"، ص36.

[4] ينظر،آمنة تشيكو:" مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرلوند توينبي"، ص66 .

[5] ينظر، فيصل بن قرطبي:"مالك بن نبي- ابن خلدون القرن العشرين-"، إشراف فيصل فرحي، ص 19.

الخصوص فحين أسس سنة 1938م بمرسيليا[1] مدرسة بسيطة لمحو الأمية منعته السلطات من التدريس بمبررات واهية سرعان ما كشف الحقيقة، وهي أن أوامر هبطت من فوق بغلق المدرسة ولم تقف الأمور عند هذا الحد بل وصلت إلى حد تلفيق تهمة له بالعمل لصالح النازية، فأودع السجن في أوت 1944م إلى أفريل 1945م[2]وفي السجن كتب «الظاهرة القرآنية» الذي كان له تأثير واضح على كثير من الفرنسيين أنفسهم إلى درجة أنه كان ممنوعا من مطالعته على القساوسة خوفا على عقيدتهم[3]، كما أصدر بعد خروجه من السجن رؤية فكرية لمشاكل العالم الإسلامي لخصها في مشكلة كبرى «مشكلة الحضارة» فحدد لها شروطا للنهضة سنة 1948م، ورسم لها وجهة للعالم الإسلامي سنة 1954م ووضع لها أيضا فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ سنة 1956م، ثم توالى إنتاجه الفكري من خلال كتب مطبوعة أو مقالات منشورة ثم سافر مالك بن نبي إلى مصر واستقر فيها وشاءت الأقدار أن يفترق مع زوجه خديجة إلا انه ظل وفيا لها، وفي أواخر الخمسينات تزوج ثانية من قريبة له يقول فوزي حسن:« ومن زواجه من الثانية أنجب سنة 1961م توأم بنات سماهما ايمان ونعمت، ثم بعد ذلك رزقه الله عز وجل مولودة سماها رحمة »[4]وهناك أتقن اللغة العربية وصار يكتب بها الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، وكان متأثرا بما حدث له في فرنسا، وقد أضطلع أنور السادات على كتابه«شروط

[1] ينظر، مالك بن نبي:"مذكرات شاهد القرن" الطالب، ص239.

[2] ينظر، المصدر نفسه، ص 24.

[3] ينظر، فيصل بن قرطبي:"مالك بن نبي- ابن خلدون القرن العشرين-"، إشراف فيصل فرحي، ص9.

[4] حسين موسى محمد العقبي:"مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة"، إشراف صالح حسين الرقب، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2005، ص28.

النهضة» وعينه مستشارا للمؤتمر الإسلامي بالقاهرة سنة 1956م[1]، وبعد طول غيابه عن الجزائر قرر بن نبي العودة سنة 1963م إلى الجزائر أين عين مديرا للتعليم العالي، ولكن بسبب البيروقراطية واللامبالاة بالتوجيهات الثقافية استقال من منصبه سنة 1967م ليعمل بحرية في نشر الوعي الحضاري وبث قيم الثقافة الحية بما يسميه الفعالية في العمل والسلوك[2]حيث تحدث كثيرا عن اللافعالية في مؤلفاته وحاول أن يوجد لها حلول.

وفي العام 1972م أدى فريضة الحج وفي طريق العودة أقام بدمشق وحاضر فيها عن دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين طبعت فيما بعد في كتاب صغير فيه وصيته الأخيرة للشباب المسلم[3]، وفي سنة 1973م اشتد به المرض وأجريت له عملية البروستاتا بباريس لكن قدر الله أن يتوفى -رحمه الله- يوم الأربعاء 31 أكتوبر1973م[4] بعد مشوار طويل قضاه في البحث والسهر من أجل خدمة وطنه العربي الكبير ولو بالقليل.

ب- ظروف النشأة:

ما أن حل القرن العشرين إلا والعالم العربي والإسلامي نائم في سبات عميق لا يعلم بما يدور حوله من أحداث، وحيث كان يعيش فريسة تحت جناحي الاستعمار الأوروبي الذي أطبق عليه تحت سماء مشبوهة من التعاون والوصاية والحماية والانتداب إلى الاستعمارية بطريقة أو بأخرى، وكان الاستعمار الفرنسي أبشع استعمار عرفته الجزائر فهو لم يكن كغيره يقتصر جهده على امتصاص ثروات

[1] ينظر، فيصل بن قرطبي:"مالك بن نبي- ابن خلدون القرن العشرين-"، إشراف فيصل فرحي، ص 10.

[2] ينظر، حسين موسى محمد العقبي:"مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة"، إشراف صالح حسين الرقب ص29.

[3] ينظر، فيصل بن قرطبي:"مالك بن نبي- ابن خلدون القرن العشرين-"، إشراف فيصل فرحي، ص10.

[4] ينظر، بن براهيم الطيب:"مواقف وأفكار مشتركة بين مالك بن نبي وابن خلدون"، ص38 ،39 .

البلاد وجهود العباد بل تجاوز ذلك إلى تدمير الإنسان نفسيا وفكريا وثقافيا ومحاولة لقتل مقومات الشخصية، حيث عمّ الفقر والجهل والأمراض والبؤس والحرمان، وانعكس ذلك على السكان الصامدين ومن بينهم مالك بن نبي إذ يقول:«إنه الاستعمار، نعم انه قد خلع علينا بابنا وزعزع دارنا، وسلب منا أشياء ثمينة»[1]، ولقد أسهم بن نبي في علاج العديد من مشكلات الحضارة، ولم يضع مالك جميع مؤلفاته مؤلفاته تحت عنوان «مشكلا الحضارة» عبثا بل كان ذلك تعبيرا دقيقا عن فكرة الحضارة«إنني أومن بالحضارة على أنها حماية للإنسان، لأنها تضع حاجزا بينه وبين الهمجية»[2]، لقد آمن بن نبي بفكرته عن الحضارة واعتبرها الجزء الأساسي لدراسة مشكلات الشعوب، وكانت له مواقف فكرية خاصة به ومواقف من الاستعمار وعدم رضوخه له وفي الوقت الذي أصبحت فيه أفكاره وآرائه تنتشر وتصل للقراء، وبدأت مؤلفاته تطبع وتنشر كان الشعب الجزائري قد أعلن عن بداية ثورته المظفرة في غرة نوفمبر سنة 1954م عاقدا العزم على نيل استقلاله وأخذ حريته، كان بن نبي مقيما بفرنسا لأسباب ملاحقته من طرف الاستعمار الفرنسي الغاشم حيث وجد نفسه وحيدا يواجه وجها لوجه أعاصير الاستعمار«كنت أعيش بباريس وأحمل بها وحدي لواء الإصلاح في وجه العواصف والأعاصير التي يثيرها الاستعمار على خصومه»[3]، وهذه صفة الرجال المخلصين الذين يبقون لوحدهم في أصعب الظروف.

تأثر بن نبي بفلسفات كثيرة منها فلسفة "شبنجلر" و"توينبي" وابن خلدون وكذلك بفكر محمد إقبال والحركة الوهابية وبالمفكر الثوري ابن باديس والبشير الإبراهيمي...حيث استقى منهم فكره ثم طوره

[1] مالك بن نبي:"شروط النهضة"، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص153.

[2] أسعد السحمراني:" مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا"، دار النفائس، بيروت، ط2 ، 1986 ، ص143 .

[3] بن براهيم الطيب:" مواقف وأفكار مشتركة بين مالك بن نبي وابن خلدون"، ص37 .

وجدد فيه حتى أصبح يتلاءم مع قضايا عصره، وبالفعل صار بن نبي رائد مدرسة جديدة في الفكر الإسلامي المعاصر.

جـ- مالك بن نبي المفكر:

معظم الذين تناولوا مالك بن نبي رحمه الله ركزوا على الجوانب الفكرية والنظرية في شخصية هذا المفكر الكبير الذي يشكل علامة بارزة في تاريخ المسلمين في القرن العشرين وتكاد تخلو الدراسات والمقالات من ذكر جوانب أخرى لا تقل إشراقا في شخصية هذا الرجل الذي رفض أن يوجه أصابع الاتهام لجهة أخرى خارج دائرة الذات الإسلامية. وإن العارف بالساحة الجزائرية يدرك وزن العلامة مالك بن نبي رحمه الله كأحد رواد الفكر الإسلامي المعاصر الذي اعتبر جوهر المشكلة التي يتخبط فيها المسلمين منذ عصر ما بعد الموحدين هي مشكلة الحضارة، وليست مشكلة جزئية محدودة سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو تربوية أو سلوكية أو حتى عقائدية، وإنما شاملة لجوانب الحياة المختلفة.

وقد أجمع الدارسون والمتتبعون لجذور العمل الإسلامي المعاصر في الجزائر أن مالك بن نبي ليس فقط باعثَ الخط الإسلامي المعاصر وملهمه على مستوى المفاهيم والأفكار ونظرية التغيير ولكن أيضا كمفكر عملي أدرك أن خط التغيير الحضاري المنشود لا يتأتى إلا بتكوين نخبة متميزة ومتشبعة برؤية التغيير السُنَنِية، فعمل بكل إخلاص على تجسيد هذا المعنى عندما باشر إلى تنظيم ندوات فكرية في بيته أواسط الستينات، والتي تشكل الزاوية التاريخية التأسيسية للعمل الإسلامي المعاصر في جزائر ما بعد الاستقلال.

لقد لقى بن نبي شهرة واسعة لدى الشباب المثقف والمتعطش إلى الأفكار الجديدة، فقد وجد البعض ما كان يرجوه في مؤلفاته التي تستنهض همم الشباب العربي والتي أودعها بن نبي لكل تجاربه العلمية وصياغتها طبقا لمنهج فكري جديد فيقول الدكتور عمر مسقاوي في مقدمة كتاب بن نبي «القضايا الكبرى» أن فكر بن نبي لا يزال ينادي الجيل من مكان بعيد، لكنه يقترب رويدا رويدا كلما استفحلت في عالمنا الهزيمة، وأن فكر بن نبي مؤهل ليكون منطلق الفكر والرؤية في جيل الشباب الذي لا يزال منغمسا في فوضى الاتجاه وضبابية الرؤى و ابتسار الحلول[1] كما يقول الدكتور عبد العزيز خالدي«وبن نبي في الواقع ليس كاتبا محترفا أو عاملا في مكتب مكبا على أشياء خامدة من الورق والكلمات، ولكنه رجل شعر في حياته الخاصة بمعنى الإنسان في صورتيه الخلقية والاجتماعية»[2]، وكان شعور بن نبي بالانتماء إلى وطنه قويا لدرجة جعله يهجر مهنته الأصلية (مهندس كهربائي) ويتجه إلى قضية التحرر والنهضة التي كرس لها كل وقته وسخر لشرحها كل ثقافته ومجهوده.

ولابن نبي نظرية مشهورة في الحضارة تتمثل بالمعادلة المشهورة (إنسان + تراب + وقت = حضارة)حيث أضاف إليها مركب الدين من أجل إكمال التفاعل والحصول على نتيجة ايجابية وهي النهضة بقطبيها الروحي والفني«ذلك إن المنهج الذي يتناول واقعة الحضارة لا على أنها سلسلة من الأحداث يعطينا التاريخ قصتها بل كظاهرة يرشدنا التحليل إلى جوهرها، وربما إلى قانونها أي إلى سنة الله فيها هو القادر، فيما أعتقد على أن يستجلي لنا بطريقة أوضح الدور الايجابي الفعال للفكرة الدينية في

[1] ينظر، مالك بن نبي "القضايا الكبرى"، ص9 ،10 .

[2] مالك بن نبي :"شروط النهضة"، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص8.

تركيب تلك الواقعة»[1]ولقد أعطى بن نبي مثالا بالتركيب الكيميائي للماء، فيقول أن الماء نتاج الهدروجين والأكسجين ولكن هذا التركيب لا يأتي تلقائيا وإنما يخضع لقانون معين تدخل مركب ما بدونه لا تتم عملية تكوّن الماء، وهذا ما يحدث أيضا في مزج عناصر المعادلة بعضها ببعض ألا وهو الدين الذي رافق البشرية منذ عهد قديم[2]، وإن المضطلع على كتب بن نبي يجد اهتمامه الكبير بالدين وتوظيفه كعنصر فعال في بناء الحضارة.

كما أن تأثر بن نبي بالمفكر "توينبي" ظهر جليا في بعده الفكري حيث يتفق معه على ضرورة التفرقة بين مجتمعين مختلفين وهما المجتمع البدائي والمجتمع الحضاري، فالأول يتميز بالسكون والآخر بالحركة في حين قام "توينبي" بدراسة المعطيات التاريخية ومقارنتها بغية الوصول إلى قوانين يفسر بها التاريخ، وجعل في كتابه «دراسة التاريخ» فكرة التاريخ الحضاري، والذي درس المجتمعات دراسة مقارنة واستنتج وجود عدد محدد من الوحدات الاجتماعية[3]التي تميزها خصائص معينة وتجمعها أطوار حضارية متشابهة وتصلح وحدها في رأيه للدراسة التاريخية.

واشتهر"توينبي"بنظريته التحدي والاستجابة في الحضارة حيث اتبع منهج "هيغل" وشبه فكرة التعارض بعقبة ذات طابع اقتصادي أو فني عبر عنها بكلمة تحدي، وفي رأيه أن التحدي يتوجه إلى ضمير الفرد أو الجماعة وبالقدر الذي تكون عليه أهمية الاستفزاز تكون الاستجابة وفكرة التحدي أخذها بن نبي وصاغها بطريقة أخرى«يمكننا أن نصوغ إلى حد ما هذا الرأي-ما ذهب إليه المؤرخ

---

[1] مالك بن نبي :"ميلاد مجتمع"، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، د.ط، 1981، ص50.

[2] ينظر، آمنة تشيكو"مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرلوند توينبي"، ص148 .

[3] ينظر، المرجع نفسه، ص153.

توينبي-صياغة جديدة في ضوء القرآن الكريم، فقد نستطيع حيث لم نصل بهذه الطريقة إلى تفسير واضح لمنشأ الحركة التي ولدت المجتمع الإسلامي وغايته التاريخية أن نفسر هذه الحركة بالعوامل النفسية التي حفزت القوة الروحية في هذا المجتمع أعني شروط حركته عبر القرون»[1] حيث يطبق بن نبي نظرية التحدي في المجتمع ما بعد الموحدين، وذكر أبرز التحديات التي واجهها ومدى درجة استجابة هذا المجتمع لها.

أما عن فكرة الدين فرأى بن نبي أن القرآن قد وضع الضمير المسلم بين حدين هما الوعد والوعيد، ومعنى ذلك أنه قد وضعه في أنسب الظروف التي يتسنى له فيها أن يجيب على تحد روحي بينما "توينبي"فنظرته للدين تختلف حيث يرى أن«الأديان العالمية تنزع إلى الظهور في غمار عصور الاضطرابات وتحلل المجتمعات»[2]ودور الأديان في نظره يقتصر على إبقاء أنواع من المجتمعات، بخلاف بن نبي الذي يرى أن الدين هو المحرك الأساسي للنهوض بالحضارة، وعلى العموم فإن فكر بن نبي يختلف عن فكر "توينبي"، فالأول ركز على الفكرة الدينية وعايش الواقع بجميع أحداثه، أما الآخر لم يعطي للدين أهمية كبيرة وشاهد الأحداث في مخيلته فقط واكتفى بذكر الأحداث التاريخية.

لقد ترك مالك بن نبي عدة مؤلفات شددت كلها على إبراز مشكلة العالم المتخلف بما في ذلك العالم الإسلام باعتبارها قضية حضارة أولا وقبل كل شيء فوضع كتبه جميعها في سلسلة تحت عنوان «مشكلات الحضارة» ويمكننا ذكر آثاره تبعا لنشرها لأول مرة.

[1] آمنة تشيكو"مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرلوند توينبي"، ص156.

[2] المرجع نفسه، ص160.

-**لبيك**:هي رواية وحيدة صدرت في الجزائر سنة 1947م تتسم بالشاعرية صدرت باللغة الفرنسية[1]، وتعبر عن حيرة الإنسان ومعاناته في العالم المتخلف حضاريا لا سيما في العالم الإسلامي كالجوع والجهل والإهمال...

-**الظاهرة القرآنية**:هو كتاب صدر 1948م باللغة الفرنسية تبنى فيه مؤلفه رؤية خاصة للعقيدة تركز على فعالية دورها في بعث المجتمع[2]، أي أنه محاولة للتأمل الواعي في الدين الذي يضع النهضة في اللحظة الحاسمة حينما تنطلق الشرارة الروحية في اتجاه تغيير مجرى التاريخ...

-**شروط النهضة**:هو كتاب صدر بالجزائر سنة 1948م باللغة الفرنسية يتناول مسائل الحضارة والتاريخ والمستقبل، والغاية من وراء ذلك البحث عن نهضة حقيقية للعالم الإسلامي والعالم المتخلف ككل، وهو يتحدث أيضا عن عناصر الحضارة الثلاثة: الإنسان، التراب والزمن، وعن أثر الفكرة الدينية أو بالأحرى الفكرة الخالصة في تكوين الحضارة وعن توجيه الثقافة والتوجيه الأخلاقي والجمالي، وعن توجيه العمل ورأس المال[3] الذي يظهر بوجه عام المشكلات التي تعيشها مجتمعات العالم المتخلف بما في ذلك العالم الإسلامي باعتبارها مشكلات اجتماعية ينبغي فهمها حيث يصر بن نبي على أن النهضة عملية تغيير ترفع الفرد إلى مستوى المسيرة الاجتماعية التاريخية.

-**وجهة العالم الإسلامي**:هو كتاب صدر بباريس سنة 1954م باللغة الفرنسية بحث فيه مؤلفه مشكلة مجتمعات العالم الإسلامي المشتركة (الأزمة الحضارية) بحيث استعرض تاريخها انطلاقا من العهد

---

[1] ينظر، فيصل بن قرطبي:"مالك بن نبي- ابن خلدون القرن العشرين-"، إشراف فيصل فرحي، ص14.

[2] ينظر، مالك بن نبي:"الظاهرة القرآنية"، ترجمة عبد الصبور شاهين، تقديم محمد عبد الله دراز ومحمد شاكر، دار الفكر المعاصر بيروت، ط4، 1987، ص8.

[3] ينظر، مالك بن نبي:"شروط النهضة"، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص10، 11.

الذي ظهر فيه الإسلام، وكذا المراحل التي مرت بها ليقف بعد ذلك مطولا عند العقدة الأساسية في صورتها العالمية[1]،كل ذلك من أجل إظهار باب النجدة والمنفذ لحل العقدة بتسليط الضوء أكثر على واقع المجتمعات العالم الإسلامي.

-**الفكرة الإفريقية الآسيوية**:هو كتاب ظهر بمناسبة انعقاد مؤتمر «باندونغ» سنة 1955م بإندونيسيا من أجل التضامن الأفريقي والآسيوي[2]، وصدر باللغة الفرنسية حيث وضع فيه مؤلفه الأسس النظرية والمناهج التطبيقية لبروز كتلة جديدة على الصعيد العالمي والتاريخ البشري، يحتل فيها العالم الإسلامي مكانة هامة لكن هذه الفكرة لم تتجسد على أرض الواقع نظرا لغياب الإرادة عند بعض الأعضاء لتحقيق ذلك.

-**النجدة للجزائر**:هو كتاب صدر بالقاهرة سنة 1957م باللغة الفرنسية وجه من خلاله بن نبي نداء للضمير الإنساني العالمي[3]من أجل اتخاذ موقف إنساني حضاري حازم بشأن عمليات الإبادة التي كان قد تعرض لها المجتمع الجزائري من طرف الاستعمار الفرنسي.

-**مشكلة الثقافة**:هو كتاب صدر بالقاهرة 1959م باللغة الفرنسية تناول فيه مؤلفه قضية الثقافة في مجتمعات العالم الإسلامي[4]، وفي غيرها من المجتمعات المتخلفة حضاريا من زاوية خاصة، أي من زاوية الذي يبحث عن ضالة افتقدتها هذه المجتمعات، وليس من زاوية الذي يصف واقعا اجتماعيا

[1] ينظر، حسين موسى محمد العقبي:"مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة"، إشراف صالح حسين الرقب، ص36.

[2] ينظر، مالك بن نبي:"تأملات"، دار الفكر سوريا، د.ط، 1979، ص100.

[3] ينظر، فيصل بن قرطبي:"مالك بن نبي- ابن خلدون القرن العشرين-" إشراف فيصل فرحي، ص15.

[4] ينظر، المرجع نفسه، ص15.

ماثلا أمام عيني في نظم بلاده، وفي فعالية السلوك حوله، وفي ذلك الترابط الذي هو جوهر التزام متبادل بين المجتمع والفرد.

-**حديث في البناء الجديد**:هو كتاب صدر ببيروت سنة 1960م يتضمن خمسة محاضرات مترجمة من الفرنسية إلى العربية ألقاها بن نبي في مناسبات مختلفة أثناء زيارته لكل من لبنان وسوريا[1] وتشكل هذه المحاضرات في مجموعها وحدة في الموضوع بحيث تتم كل واحدة منها الأخرى، ولقد جاء ترتيبها في هذا الكتاب على هذا الأساس بغض النظر عن الزمن الذي ألقيت فيه.

-**الصراع الفكري في البلاد المستعمرة**:هو كتاب صدر بالقاهرة سنة 1960م باللغة العربية حاول فيه بن نبي الكشف عن حقيقة الصراع الفكري ولغته،[2] تلك اللغة التي ليس لها معنى واضح إلا بالنسبة لمن عاش بدوره تجربته الشخصية.

-**الصعوبات كعلامة نمو في المجتمع العربي**:هو كتاب صدر بالقاهرة سنة 1960م يتضمن هذا الكتاب محاضرة مترجمة من الفرنسية إلى العربية ألقاها بن نبي في الاتحاد القومي في دمشق يوم التاسع من أوت سنة 1960م تناول فيها عقدة كثيرا ما عانى منها الأفراد في المجتمعات الإسلامية تتمثل في استسهال الصعب واستصعاب السهل[3]، فهو محاولة لتوضيح الصعوبات التي تعاني منها هذه المجتمعات اليوم في مواجهة ضرورات البناء الداخلي، وقد استهدف فيه مؤلفه بن نبي المساهمة في إزاحة مركب النقص هذا عن كل فرد.

---

[1] ينظر، فيصل بن قرطبي:"مالك بن نبي- ابن خلدون القرن العشرين-" إشراف فيصل فرحي، ص16.

[2] ينظر، حسين موسى محمد العقبي:"مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة"، إشراف صالح حسين الرقب ص38.

[3] ينظر، فيصل بن قرطبي:"مالك بن نبي- ابن خلدون القرن العشرين-" إشراف فيصل فرحي، ص16.

-**فكرة كومنويلث إسلامي**:هو كتاب صدر بالقاهرة سنة 1960م عبارة عن مخطوط كتبه بن نبي باللغة الفرنسية في نهاية الخمسينات ثم ترجم فيما بعد إلى العربية، وفيه حاول رسم إطار عام لمشروع يمنح العالم الإسلامي موضعا ضمن خارطة العالم المعاصر موقعا ينم عن الإدراك والوعي بدقائق مسيرة العالم الحديث[1]، وفوق ذلك عن القدوة في السلوك والمبادرات وكذا الحضور المؤثر في هذه المسيرة الطويلة والشاقة.

-**تأملات في المجتمع العربي**:هو كتاب صدر بالقاهرة سنة1961م ويتضمن خمسة محاضرات مترجمة من الفرنسية إلى العربية ألقاها بن نبي في مناسبات مختلفة خلال زيارته لسوريا[2]، وتعالج هذه المحاضرات في مجموعها موضوعا مشتركا يدخل في نطاقه المجتمع العربي كما يدخل في نطاقه أيضا العالم الإسلامي والعالم المتخلف بصفة عامة الذي هو موضوع العوائق المجتمعية التي تحول دون التقدم وكذا كيفية تجاوزها.

-**في مهب المعركة**:هو كتاب صدر بالقاهرة سنة1961م عبارة عن مجموعة مقالات كتبها مالك بن نبي في نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات ونشرها في جريدتين جزائريتين ناطقتين بالفرنسية هما «الشباب المسلم» و«الجمهورية الجزائرية» ولما لجأ إلى القاهرة سنة 1956م بدا له من المفيد جدا أن يترجم هذه المقالات وينشرها بالعربية في شكل كتاب عنونه بـ«مهب المعركة» وظهرت طبعته الأولى سنة

[1] ينظر،مالك بن نبي:"فكرة كمنويلت إسلامي"، دار الفكر سورية، الطيب شريف، 1960، ص7.

[2] ينظر، فيصل بن قرطبي:"مالك بن نبي- ابن خلدون القرن العشرين-"، إشراف فيصل فرحي، ص17.

1961م[1]، وتعالج فصول هذا الكتاب مسائل عديدة تتصل بواقع المجتمع الجزائري خصوصا وواقع مجتمعات العالم المتخلف عموما.

-**آفاق جزائرية**:هو كتاب صدر بالجزائر عام صدر سنة 1964م يتضمن ثلاث محاضرات مترجمة من الفرنسية إلى العربية ألقاها بن نبي في الجزائر وتعالج المحاضرة الأولى التي ألقاها في الجزائر العاصمة يوم 9 جانفي 1964م مشكلة الحضارة، أما المحاضرة الثانية التي ألقاها في مدينة قسنطينة في 3 جانفي 1964م فتعالج مشكلة الثقافة، وأما بخصوص المحاضرة الثالثة والتي ألقاها في الجزائر العاصمة في شهر فيفري 1964م[2] فتعالج مشكلة المفهومية وكل هذه المحاضرات تحاول في جوهرها الكشف للجيل الصاعد عن السبيل الذي يضع الجزائر وغيرها في رؤية عليا للتاريخ في أفق عالمي يتمازج مع التطور الشامل للعالم.

-**مذكرات شاهد للقرن«الطفل»**:هو كتاب صدر بالجزائر سنة1966م متحدث فيه بن نبي عن المرحلة الأولى من حياته، وما رافقهما من أحداث وطنية ودولية،[3] وكان في كل التفاصيل التي يذكرها يحاول أن يجسد رؤيته الفكرية، وذلك باعتباره شاهد بصر وفكر في آن واحد.

-**إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي من الحديث**:هو كتاب صدر في القاهرة سنة 1969م باللغة الفرنسية تعرض فيه بن نبي إلى جهود الغرب في تكوين الفكر والثقافة في المجتمعات

---

[1] ينظر، مالك بن نبي:"في مهب المعركة"، دار الفكر سوريا، ط3، 1981، ص9.

[2] ينظر،حسين موسى محمد العقبي:"مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة" إشراف صالح حسين الرقب، ص36.

[3] ينظر، مالك بن نبي:"مذكرات شاهد القرن" الطفل، دار الفكر دمشق، د.ط، 1969، ص9.

المختلفة حضاريا لاسيما المجتمعات الإسلامية، وذلك عبر نتاج المستشرقين[1] الذي ينبغي وضع بعضه في إطار الصراع الفكري الذي تعامل على أساسه الاستعمار مع المجتمعات المستعمرة تعامل استغلال لمواردها واسترخاء في إرادتها.

-**مذكرات شاهد للقرن «الطالب»**:هو كتاب صدر ببيروت سنة 1970م باللغة العربية حيث تحدث فيه بن نبي عن مرحلة أخرى من حياته في فرنسا[2] قضى أغلبها في الدراسة، وكان في كل التفاصيل التي يذكرها يحاول أن ينقل إلى القارئ تبصره بالأحداث ويكشف عن هاجسه القوي الذي رافقه طيلة حياته، هاجس الحضارة ومشكلاتها.

-**مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**:هو كتاب صدر بالقاهرة سنة 1971م باللغة الفرنسية[3]، حيث حاول فيه مؤلفه تبيان أن مجتمعات العالم الإسلامي تواجه منذ تدهورها الحضاري مشكلة أفكار وليس مشكلة وسائل.

-**المسلم في عالم الاقتصاد**:هو كتاب صدر ببيروت سنة 1971م باللغة العربية، يرى فيه بن نبي أن هنالك حتمية اختيار لامناص منها بين الأفكار والحلول المقدمة في إطار النظام الرأسمالي والأفكار، والحلول المقدمة في إطار النظام الاشتراكي[4]،كما ركز على أن القضية الاقتصادية بالنسبة لهذه المجتمعات ليست قضية إمكان مالي بالدرجة الأولى، وإنما هي قضية تعبئة الطاقات الاجتماعية في مشاريع تحركها إرادة حضارية لا تحجم أمام الصعوبات.

---

[1] ينظر،مالك بن نبي:"انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث"، دار الإرشاد بيروت، د.ط، 1969، ص 9.

[2] ينظر، مالك بن نبي:"مذكرات شاهد القرن" الطالب، ص10.

[3] ينظر، فيصل بن قرطبي:"مالك بن نبي- ابن خلدون القرن العشرين-"، إشراف فيصل فرحي، ص19.

[4] ينظر،حسين موسى محمد العقبي:"مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة" إشراف صالح حسين الرقب، ص36.

-دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين:هو كتاب صدر ببيروت سنة 1972م باللغة العربية تضمن محاضرتين متسقتين ألقهما بن نبي في دمشق[1] حيث تعالج المحاضرة الأولى دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين، والذي يتم في نظره ضرورة إنشاء وتشييد في الداخل وضرورات اتصال وإشعاع في الخارج، أما المحاضرة الثانية فتعالج رسالة المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين والمتمثلة في تخليص نفسه من التخلف الحضاري ومشاركة الإنسانية في التغلب على مشكلاتها.

-بين الرشاد و التيه:هو عبارة عن مجموعة مقالات كتبها بن نبي في طرابلس سنة 1977م بالفرنسية ونشرها في جريدة «الثورة الإفريقية» إثر عودته إلى الجزائر بعد الاستقلال في الستينات وفي صيف تسعمائة وألف واثنان وسبعين، جمعها وترجمها إلى العربية ثم يؤديها ووضعها في شكل فصول ضمن كتاب عنونه بـ« بين التيه والرشاد» والذي اختتمه بكلمة إضافية عن الصراع الفكري[2]، ومادة هذا الكتاب تعكس في مجملها أحداث الستينات في الجزائر والعالم الإسلامي وإبراز حقيقتها وأبعاد وكذا كيفية مجابهتها والتصدي لها.

-من أجل تغيير الجزائر:كتاب وهو عبارة عن مجموعة مقالات كتبها بن نبي سنة 1988م بالفرنسية ونشرها في جريدة «الثورة الإفريقية» حيث أودعها مجريات الأحداث في الستينات في زمن كانت فيه الجزائر تحاول أن تسجل حضورها الدولي وتلج عهد الاستقلال بعد زوال الاحتلال الفرنسي

[1] ينظر، فيصل بن قرطبي:"مالك بن نبي- ابن خلدون القرن العشرين-"، إشراف فيصل فرحي، ص20.

[2] ينظر، مالك بن نبي :" بين الرشاد والتيه"، دار الفكر، سوريا، د.ط، 1978، ص7.

وقد جمعت هذه المقالات بعد وفاته سنة 1989م[1] وبوبت ووضعت في شكل فصول ضمن كتاب عنون بـ«من أجل تغيير الجزائر» يتناول فيه بالتحليل مسائل في جوانب مختلفة.

ومن المهم الإشارة فضلا عن كل ما سبق ذكره إلى أن هناك بعض من مؤلفات بن نبي المذكورة آنفا قد تم جمعها وترتيبها معا بعد وفاته في إطار كتابين معنونين:

-**القضايا الكبرى**:هو كتاب صدر باللغة الفرنسية في الجزائر العاصمة سنة 1976م[2]، ويشتمل على محتويات كل من المؤلفين التاليين: آفاق جزائرية، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي.

-**تأملات**:صدر باللغة العربية في دمشق سنة 1986م[3]، ويشمل على محتويات كل من المؤلفات المترجمة التالية: حديث في البناء الجديد، الصعوبات كعلامة نمو في المجتمع العربي وتأملات في المجتمعات العربية.

2- نظرية مالك بن نبي في الحضارة:

لقد فكّر مالك بن نبي في الوضع المتدني الذي تعيشه أمته، وراجع محاولات النهوض السابقة وتياراتها فانتبه إلى عمق المشكلات التي تعانيها، والى أي مدى تمتد جذورها في مكوناتها التاريخية والثقافية، وبالأخص مشكلة الاستعمار الذي انتشرت كثيرا في البلدان العربية والإسلامية ومثال ذلك وطنه الجزائر الذي شهد أشرس مستعمر هو المستعمر الفرنسي الغاشم، وكذا القضية الفلسطينية التي شغلت بال العديد من أفراد الأمة الإسلامية«وكان الشعب الجزائري يعيش في بلاد سُد فيها المستقبل

[1] ينظر، فيصل قرطبي:" مالك بن نبي- ابن خلدون القرن العشرين-، إشراف فيصل فرحي، ص20.

[2] ينظر،المرجع نفسه، ص21.

[3] ينظر، فيصل بن قرطبي:"مالك بن نبي- ابن خلدون القرن العشرين-"، إشراف فيصل فرحي ، ص21.

أمامه، حيث كان الفرد يولد والتشاؤم يملأ أعماقه وروحه»[1] ولقد ظل العالم الإسلامي خارج التاريخ دهرا طويلا كأن لم يكن له هدف استسلم المريض للمرض، وفقد شعوره بالألم حتى كأنه يؤلف جزءا من كيانه[2]، وتمكن مشكلة العالم الإسلامي حسب رأي بن نبي في الأفكار فحيثما وجّهت إلى الأحسن كان التغيير ايجابي والعكس صحيح«وتستوي الحضارة على ظهر التاريخ كلما كانت في توازن فعّال يدلي بنتائجه في أفكار موضوعة تستلهم أصوله ونماذجه أي أفكاره المطبوعة الأصيلة، فإذا ما فقدت الأفكار المطبوعة في نماذجها الأساسية إلهامها وافتقدت الأفكار الموضوعة استلهامها لتلك النماذج أصاب الخلل وجمح بها ظهر التاريخ فأصبحت شرودا تغالي في الانحراف»[3] ويبّن بن نبي لنا أهمية الأفكار الأصيلة التي تساهم في كتابة التاريخ لأممها أما إذا ما اعتراها التقليد الأعمى واستبدلت بأفكار غريبة عن بيئتها الأصلية وإذا لم تنقح ويستفاد من جيدها هنا تظهر المشكلة فتختلط الأمور وتبقى هذه الأفكار سوى كحجرة عقبة أمام أصحابها.

استخدم بن نبي مصطلح الحضارة وأدرجه في مؤلفاته بما فيها سيرته الذاتية «مذكرات شاهد القرن» وكتابه «الظاهرة القرآنية» تحت عنوان فرعي هو «مشكلات الحضارة» مما يدل على أن ظاهرة الحضارة هي الفكرة الأساسية التي تتمحور حولها أفكاره الاجتماعية والثقافية والتربوية بل حتى السياسية والاقتصادية، إذ يقول الدكتور عبد اللطيف عبادة حول فكره السياسي أنه يتمحور حول النقاط الثلاث التالية: - «الفكر السياسي النظري أو الفلسفة السياسية.

---

[1] مالك بن نبي :" القضايا الكبرى"، إشراف ندوة مالك بن نبي، ص33 .

[2] ينظر، مالك بن نبي:"شروط النهضة"، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص40.

[3] مالك بن نبي:"الأفكار في العالم الإسلامي"، ترجمة أحمد شعبو وتقديم عمر مسقاوي، ص7، 8 .

- دراسة الايدولوجيا ودورها في تأسيس وتأصيل النهضة.

- سوسيولوجيا السياسة وسوسيولوجيا الثورة، لقد تعرض مالك بن نبي للسياسة الشرعية كما نفذها الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون»[1]فالحضارة عند بن نبي هي المدخل المنهجي الذي اتخذه لبحث واقع المجتمع والأمة مؤكدا أن«مشكلة أي شعب هي في جوهرها مشكلة حضارة»[2] ولقد قادته هذه المقدمة المنطقية إلى تتبع أسباب صعود الحضارات الإنسانية وأفولها مستفيدا من أفكار ابن خلدون وشبنجلر وتوينبي وغيرهم مع تركيزه على الحضارة الإسلامية بوجه عام وعلى مرحلة أفولها بوجه خاص، فوجد بن نبي أن «الأفول قد أدى بالمسلمين إلى الوقوع تحت سيطرة أوروبا في القرن التاسع عشر، ليُكَوِن ذلك الاستعمار الديناميت الذي نسف عالم ما بعد الموحدين الموسوم بالصمت والأحلام والخمول»[3]إذ أن التخلف أصبح وسمة فشل متصلة دائما بدول العالم الثالث وبوجه خاص العالم العربي والإسلامي.

يتطلب كل تغيير اجتماعي في رأي بن نبي العمل الانتقال بالفرد من كونه فردا إلى أن يصبح شخصا، وذلك بتغيير صفاته البدائية التي تربطه بالنوع إلى نزعات اجتماعية تربطه بالمجتمع أي تحويله من مجرد كتلة من القدرات الفطرية المتشابكة إلى شخصية متنامية والى ذات تعي هويتها الاجتماعية وتنظم في إطار أفكار وسلوك متعارف عليها«أما على الصعيد التاريخي فالأمر مختلف إذ يمكن الإشارة إلى أوجه

[1] عبد اللطيف عبادة:" فقه التغيير في فكر مالك بن نبي"، عالم الأفكار، الجزائر، ط2، 2007، ص6، 7.

[2] مالك بن نبي:" شروط النهضة"،ترجمة عبد الصبور شاهين، ص19.

[3] مالك بن نبي:" وجهة العام الإسلامي"، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، سوريا، د.ط، 2002، ص 48.

التشابه بين بعض مظاهر النمو العقلي عند الفرد والتطور النفسي الاجتماعي للمجتمع، وهذا الأخير يمر هو أيضا بالأعمار الثلاثة:- «مرحلة الشيء.

- مرحلة الشخص.

- مرحلة الفكر.

بيد أن الانتقال هنا من مرحلة إلى أخرى ليس بالوضوح الذي نراه عند الفرد»[1] حيث نجد أن هذه العناصر الثلاثة للعملية الحضارية في علاقة تفاعلية مع بعضها، فالأفكار الناجحة هي التي يضعها الكاتب بتوجيه من واقع القارئ المعاش ومن تطلعاته، وهي التي تراعي الواقع المادي وطبيعة الواقع الذي تنظر له، والأشخاص الناجحون هم الذين يحسنون استيعاب الأفكار وفهم واقعهم فيستطيعون تحديد الأهداف بما يتناسب مع الظروف ومع القدرات البشرية والمادية المتوفرة وإن تفاعل الفكر مع الواقع الاجتماعي والطبيعي وتفاعل مجموع الشعوب مع الطبيعة والأفكار السائدة تنتج معادلة جديدة هي المؤشر على نجاح عملية التحضر هذه المعادلة حسب رأي بن نبي هي المقياس لتوافق الأفكار والأشخاص والأشياء«لكن هذه العوالم الثلاثة لا تعمل متفرقة بل تتوافق في عمل مشترك تأتي صورته طبقا لنماذج أيديولوجية من عالم الأفكار، يتم تنفيذها بوسائل من عالم الأشياء من أجل غاية يحددها عالم الأشخاص...وكما أن وحدة هذا العمل التاريخي ضرورة فإن توافق هذه الوحدة مع الغاية منها وهي التي تنسجم في صورة الحضارة يعد ضرورة أيضا»[2] أي أن مكانة العقيدة هي التي تحرر الأيديولوجية المستقبلية سلبا أو إيجابا.

[1] مالك بن نبي :"الأفكار في العالم الإسلامي"، ترجمة أحمد شعبو، إشراف وتقديم عمر مسقاوي، ص36 .

[2] مالك بن نبي:"ميلاد مجتمع"، ص23، 24.

فعالم الأشياء هو أول ما يلفت نظر الطفل منذ الولادة، فالثدي بالنسبة له ليس أكثر من شيء قد تقوم الرضاعة مقامه، ثم يبدأ بعد ذلك التعرف على أمه ومحيطه وهذا أسماه بن نبي عالم الأشخاص ثم ينتقل إلى التحليل والتركيب محلقا في عالم الأفكار، كما شغل هذا العالم فكر بن نبي فخصص له كتابا كاملا عنونه بـ«مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي» وتناول الموضوع من عدة جوانب من حيث الطفل والمجتمع والثقافة والسياسة والحضارة...وأطلق ما يسمى بمصطلح الأفكار الميتة والأفكار المميتة، وكيفية تأثيرها سلبا على نمو وتطور الفرد والمجتمع ويرى بن نبي أن «المجتمع المتخلف ليس موسوما حتما بنقص في الوسائل المادية (الأشياء) وإنما بافتقاره للأفكار »[1] فالأفكار الميتة هي موروثة من عصر ما بعد الموحدين و تعبر عن القابلية للاستعمار، وخطرها علينا أشد من خطر الأفكار المميتة الموروثة من الغرب والتي تولد الاستعمار، إذ أن هذه الأخيرة لازالت تكون الجانب السلبي في نهضتنا، كما كانت تكون الجانب الايجابي القتال في عهد التقهقر، وهي تتحول إلى أفكار ميتة في مجتمع يريد الحياة بحسب رأي بن نبي.

يستطيع المطلع على فكر بن نبي أن يلمس حرصه على تعريف مصطلحاته ومفاهيمه الأساسية التي تدور حولها تأملاته وتحليلاته، ولاشك أن لخلفيته العلمية وانضباطه المنهجي أثرا في صياغة هذه التعريفات في صورة مختزلة حينا، وفي إطار من الشرح والتحليل أو المقارنة والمقابلة حينا آخرا، ونجد أنه قد عرف مصطلح الحضارة من عدة جوانب تاريخية وثقافية واجتماعية ونفسية ووظيفية.

[1] مالك بن نبي:"ميلاد مجتمع"، ص36 .

فالحضارة من الناحية التاريخية أي من ناحية تكررها عبر التاريخ الإنساني هي عبارة عن«تنظيم معين للمجتمع على قواعد أخلاقية يجعله يبلغ مستوى القدرة على مواجهة جميع أعبائه بواسطة وسائل تعد منقوصة على وجه الإجمال إذا قارناها بالوسائل التي تقع في حوزة بلدان أخرى نامية»[1] وتحدد هذه القواعد الأخلاقية خصوصيات تلك الحضارة وتميزها عن غيرها، وليست هذه القواعد في جوهرها سوى الفكرة الدينية التي سبق أن اعتبرها بن نبي المركب الذي تتولد عنه الشرارة الباعثة للحياة في باقي مكونات الحضارة.

وعلى هذا الأساس فالحضارة ليست سوى«إنتاج فكرة حية تطبع على مجتمع ما قبل التحضر الدفعة التي تجعله يدخل التاريخ، فيبني هذا المجتمع نظامه الفكري طبقا للنموذج المثالي الذي اختاره وعلى هذا النحو تتأصل جذوره في محيط ثقافي أصيل يتحكم بدوره في جميع خصائصه التي تميزه عن الثقافات الأخرى والحضارات الأخرى»[2] ولكن هذا التميز لا يأتي من مجرد تميز أفراد المجتمع كبشر وكتاريخ وكثقافة ذلك أن الحضارة«ليست كل شكل من أشكال التنظيم للحياة البشرية في أي مجتمع كان، ولكنها شكل نوعي خاص بالمجتمعات النامية، بحيث يجد هذا الشكل نوعيته في استعداد هذه المجتمعات لأداء وظيفة معينة ليس المجتمع المتخلف في حالة تكيف معها لا من حيث رغبته، ولا من حيث قدرته أو بعبارة أخرى لا من حيث أفكاره ولا من حيث وسائله»[3] فالقيام بوظيفة معينة إذن هي المعيار الأساسي للتوجه الحضاري في السياق الثقافي والاجتماعي والتاريخي«فالحضارة هي القدرة على

---

[1] مالك بن نبي :"آفاق جزائرية"، مكتبة عمار، ط2، 1971، ص55.

[2] مالك بن نبي :"تأملات"، ص198.

[3] فوزية بريون:"مالك بن نبي" عصره وحياته ونظريته في الحضارة، دار الفكر، دمشق، د.ط، 2010 ، ص202 .

القيام بوظيفة أو مهمة معينة»[1] وهي من هذا المنظور تستلزم انخراط قوى المجتمع كله في التوجه نحو ذلك الهدف أو المعيار ذلك «إن إرادة المجتمع وقدرته تضيفان على وظيفة الحضارة موضوعية وفاعلية أي إن جملة العوامل المعنوية والمادية اللازمة لتحقيق تقدم الفرد تصبح موضوعية، وذلك بأن تتحول إلى سياسة وتشريع فيمثلان عالم الأفكار في هذا المجتمع على الصعيد الاجتماعي والأخلاقي تمثيلا مباشرا»[2] ولقد أعطى بن نبي أهمية خاصة للعنصر الأخلاقي الذي يعتبره محركا للفعالية وأساسا لشبكة العلاقات الاجتماعية والثقافية في المجتمع«هذه الروح الخلقية منحة من السماء إلى الأرض تأتيها مع نزول الأديان عندما تولد الحضارات، ومهمتها في المجتمع ربط الأفراد بعضهم ببعض»[3] وقادته روحه النقدية إلى اقتراح حلول أخلاقية للمعضلات الأخلاقية (كالتواكل والتقاعس...) تتمثل في تغليب كفة الواجبات على كفة الحقوق، والتحول من المطالبة بالحقوق إلى السهر على أداء الواجبات.

فالحضارة في أبسط تعريفاتها ليست في رأي بن نبي كومة من الأشياء المختلفة والمتنوعة، وإنما هي كُلٌ منسجم من الأشياء والأفكار ومن العلاقات والمسميات وهي لا تتجزأ حيث« يرفض مالك بن نبي التعريف الجزئي الأحادي للحضارة»[4] فهو لا يعرف الحضارة تعريفا اجتماعيا فقط أو تعريفا وظيفيا أو تاريخيا، بمعنى أن الحضارة ليست هي الاقتصاد والثروة ووسائل الإنتاج وليست هي الأحداث والنظم السياسية أو المباني العمرانية، فالحضارة «لا تحصر هنا أو هناك في إحدى زوايا هذه الميادين بل هي

[1] مالك بن نبي:"مشكلة الأفكار"، ترجمة أحمد شعبو، تقديم عمر مسقاوي، ص50.

[2] المصدر نفسه، ص51.

[3] مالك بن نبي :"شروط النهضة"، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص88.

[4] بن براهيم الطيب :"مالك بن نبي وابن خلدون"مواقف وأفكار مشتركة، ص115 .

موجودة هنا وهناك في كل الميادين والمجالات»[1] وإن الحصول على جميع منتجات حضارة ما عملية مستحيلة في حد ذاتها كما وكيفا وهي لو تحققت -جدلا- فإنها لا تصنع حضارة.

يرى بن نبي أن الحضارة بوصفها ظاهرة إنسانية تمر بثلاث مراحل هي: الميلاد والأوج والأفول معتمدا في هذا على نظرية التعاقب الدوري للدول لابن خلدون الذي يرى«أن الحركة التاريخية لا تنقطع أبدا والإنسانية لا تقف، ولكن يوجد حد يقف عنده كل مجتمع ومنه يجب أن يستأنف السير مجتمع جديد»[2] ولقد توصل ابن خلدون إلى أن الدولة تولد وتزدهر وتأفل في ثلاثة أجيال[3] ومسألة أفول الحضارات تناولها العديد من المفكرين قديما وحديثا أمثال"شبنجلر" و"توينبي" و"فرنسيس فوكوياما" و"صموئيل هانتنغتون"... ومع أن "توينبي" يختلف مع "شبنجلر" في حتمية أفول الغرب إلا أنه لا يستبعد تداعي الحضارة الغربية لا عن طريق الموت الطبيعي ولكن بالانتحار،[4] ولقد استخدم ابن خلدون مصطلح الدولة في نظريته وهو ما رآه بن نبي إطارا تنظيريا ضيقا كان يمكن التعمق فيه وتوسيعه ليشمل ظاهرة الحضارة كلها «وهكذا لم نجد فيما ترك ابن خلدون غير نظرية عن تطور الدولة في حين أنه كان من الأجدى لو أن نظريته رسمت لنا تطورا حضاريا»[5] ونحن نعتقد أن بن نبي استفاد من نظرية ابن

[1] بن براهيم الطيب :"مالك بن نبي وابن خلدون"مواقف وأفكار مشتركة، ص115.

[2] طه حسين :"فلسفة ابن خلدون الاجتماعية"، ترجمة محمد عبد الله عناد، مطبعة الاعتماد، مصر، د.ط، د.س، ص82 .

[3] ينظر، عبد الرحمان ابن خلدون :"مقدمة ابن خلدون"، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 1978، ص135، 136.

[4] ينظر، آمنة تشيكو:"مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرلوند توينبي"، ص70 .

[5] مالك بن نبي:"شروط النهضة"، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص70.

خلدون من ناحية تبنيه لفكرة إعمار الدولة وتطبيقها على الدورة الحضارية الإسلامية أما عن مراحل هذه الدورة فهي كالتالي:

-مرحلة الروح:

هي المرحلة التي يكون فيها المجتمع دائرا في فلك الفطرة البدائية يمارس حياته وفقا لما تمليه عليه غرائزه التي جبل عليها، وإن أول خطوة خطاها المجتمع الإسلامي وهو يعيش مرحلة الروح هي أنه حطم الحدود القبلية التي تفصل بين أفراده، وبناها على أسس متفتحة حدد الإسلام قواعدها «مزقت هذه الكلمة (اقرأ) ظلمات الجاهلية وقضت على عزلة المجتمع الجاهلي... فشرع يهدم ما بداخله من حدود قبلية ليؤسس عالمه الجديد من الأفكار»[1] حيث قضى الإسلام على ظلمات الجاهلية بتعاليمه السمحة ودعوته إلى الأخذ بالعلم من أجل نيل ثواب الدنيا والآخرة.

-مرحلة العقل:

خلالها يكون المجتمع مستمرا في تحقيق مبادئه الدينية وتقوية روابطه الداخلية ويواجه مشكلات جديدة وضرورات وحاجات طارئة، وذلك نتيجة توسع المجتمع وانتشار الفكرة الدينية خارج حدودها الأولى وتمتاز هذه المرحلة بأمرين هامين:

-«إن خط الحضارة في المرحلة الأولى كان تصاعديا، أما الخط في مرحلة العقل هو أفقي.

-إن القيادة لم تعد للفكرة الدينية وإنما أصبحت للعقل»[2] وفي هذه المرحلة عرف المجتمع الإسلامي ازدهارا كبيرا في مختلف المجالات، وخاصة في بغداد والأندلس.

---

[1] مالك بن نبي :" مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي"، ترجمة أحمد شعبو وتقديم عمر مسقاوي، ص75.

[2] أحمد بناسي :"المدخل إلى فكر مالك بن نبي"، الجاحظية، الجزائر، د.ط، 2006 ، ص 60.

- **مرحلة الغريزة:**

يسود فيها التفكك والضعف والفساد ويبدو الانحطاط نتيجة حتمية لانطلاق الغرائز وفقدان العقل لوظيفته الاجتماعية، وانطفاء ذلك التوتر والتنبه الذي تثبته العقيدة في النفوس والضمائر«طور الغريزة التي تكشفت عن وجهها تماما، وهنا تنتهي الوظيفة الاجتماعية للفكرة الدينية التي تصبح عاجزة عن القيام بمهمتها تماما في مجتمع منحل يكون قد دخل نهائيا في ليل التاريخ وبذلك تتم دورة في الحضارة»[1] وفي نهاية حديث بن نبي عن الدورة الحضارية ينبهنا إلى وجود اختلاف كبير بين الإنسان ما قبل الحضارة والإنسان ما بعد الحضارة «فالإنسان السابق عن الحضارة هو الرجل البدوي المستعد للانخراط في الدورة الحضارية، أما الإنسان ما بعد الحضارة فهو الإنسان الذي تفسح حضاريا»[2] أي قبل بدء دورة من الدورات يكون الإنسان في حالة سابقة للحضارة.

[illegible]

لقد أكد بن نبي على حقيقة هامة مفادها أنه لوصول أي مجتمع إلى أهدافه في إطار معطيات الزمان والمكان يجب عليه أن يدرك مكانه في التاريخ، وأن يفهم قوانين النهضة والانحطاط ذلك أن علاج المشكلات يرتبط بعوامل تاريخية واجتماعية تنتمي إلى دورة حضارية بعينها«فالفرق شاسع بين مشكلات ندرسها في إطار الدورة الزمنية الغربية، ومشاكل أخرى تولدت في نطاق الدورة الإسلامية»[3] ونحن نعتقد

[1] مالك بن نبي:"شروط النهضة"، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص70.

[2] المصدر نفسه ، ص70.

[3] مالك بن نبي:"شروط النهضة"، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص43.

أن بن نبي لم يغفل دور أي جزء من أجزاء العالم الإسلامي في آسيا وباكستان وإندونيسيا بالذات تلك البلاد التي تفوق فيها جانب الفكر والعمل على جانب العلم التقليدي المغلق.

إن نقطة تحول أي مجتمع من وضع متخلف إلى آخر متقدم يستدعي دخول ذلك المجتمع في دورة حضارية تستكمل شروطها المادية والمعنوية المتمثلة في عنصرين أساسين هما الإدارة الحضارية والإمكان الحضاري[1] وفي هذا الصدد قدم بن نبي معادلته الحضارية المركبة من: (إنسان + وقت + تراب =حضارة) مستخدما المنهجية العلمية التي يستخدمها الكيميائيون لتحليل الماء وتحديد ومكوناته«مشكلة الحضارة لا تحل باستيراد منتجات حضارية موجودة لكنها تستوجب حل ثلاث مشكلات جزئية:

- مشكلة الإنسان وتحديد الشروط لانسحابه مع سير التاريخ.
- مشكلة التراب وشروط استغلاله في العملية الاجتماعية.
- مشكلة الوقت وبث معناه في روح المجتمع ونفسية الفرد»[2] فالمشاكل التي تحيط بالإنسان تختلف باختلاف بيئته، وهي ليست واحدة بل متعددة تبعا لتنوع مراحل التاريخ.

-مشكلة الإنسان: يحتل الإنسان مكانا مركزيا في نظرية بن نبي للحضارة حيث يمثل الحجر الأساسي في عملية البناء الحضاري، فالمجتمعات الحيوانية لا تنتج حضارة فهي تتصرف وفقا لما تمليه عليها غرائزها، أما الإنسان فهو مختلف عنها«بخصائص بدنية وعقلية تشترك فيها أجناسه كلها على درجات متفاوتة، والاختلافات ظاهرية مثل حجم الجمجمة ومتوسط طول القامة ولون البشرة وهيئة

[1] ينظر، مالك بن نبي :" تأملات"، ص199.

[2] مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص45.

الشعر، ولكن التركيب البدني واحد والقدرات الذهنية واحدة»[1] ويرى بن نبي أن المشكلة الحضارية لا تتمثل فيما نملكه من أدوات وما بين أيدينا من إمكانيات، وإنما تتمثل أساسا في جهازنا الاجتماعي وهو الإنسان«فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ وإذا سكن سكن المجتمع والتاريخ»[2] والإنسان كرمه الله عز وجل وفضله على سائر الكائنات الحية وكلفه بالأمانة العظمى مصداقا لقوله تعالى:﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾[3] كما أن الله عز وجل أناط الإنسان بعمارة الأرض قال تعالى:﴿ إِنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَالِحُونَ﴾[4] فالإنسان هو محور الفاعلية في حركة النهضة حسب رأي بن نبي من خلال ثلاث نواحي:

- توجيه الثقافة.
- توجيه العمل.
- توجيه الرأسمال.

ويعرف بن نبي مصطلح التوجيه بأنه«تجنب الإسراف في الجهد وفي الوقت»[5] وأول ما يراد تغييره هو منهجية التفكير وطريقته، وذلك بتوجيه الأخلاق نحو العقيدة الدينية من خلال التحلي بالصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، حيث وضع بن نبي مشروعا لمحاولة وضع تصور للإقلاع الحضاري على محك التجربة العملية والتنفيذ يتمثل في أربعة عناصر مهمة من شأنها بعث في الثقافة القدرة على تحقيق غايات

---

[1] حسين مؤنس:"الحضارة"دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة الكويت، د.ط، 1978، ص18.

[2] مالك بن نبي :"تأملات"، ص129.

[3] سورة المؤمنون، آية 12.

[4] سورة الأنبياء، آية 105.

[5] مالك بن نبي :"شروط النهضة"، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص83.

النهضة هي: الدستور الخلقي و الذوق الجمالي والمنطق العملي والصناعة، أما على صعيد العمل يقصد بن نبي هنا سير الجهود الجماعية في اتجاه واحد بما في ذلك جهد الراعي والحرفي والتاجر والطالب والمثقف والفلاح...

ومن ناحية توجيه رأسمال يرى بن نبي أن العالم الإسلامي غني في المجال المادي من حيث التراب والمال فالبترول هو عصبة أي نهضة، ولكن ذلك لا يركب عوامل النهضة إذا لم يوجه توجيها نابغا من العقيدة التي تربط بين الفكر والعمل، فرأس المال لا يتصل بالكم بل بالكيف لأن الدرهم الذي يتحرك هو رأس المال، وأما المليار من الدراهم المستقر الساكن هو الثروة[1] فكلما حركنا اقتصادنا بالمزيد من الاستثمارات وكثرة الصادرات تنعكس النتيجة إيجابا والعكس صحيح.

- **التراب**: لقد اختار بن نبي مصطلح التراب وفضله على مصطلح المادة، تفاديا للبس الذي قد يسببه هذا الأخير حيث يعني مفهوما مقابلا للروح في مجال علم الأخلاق، ويعني مفهوما مضادا لمعنى الطاقة في مجال العلوم، كما يعني شيئا مناقضا للمثالية في مجال الفلسفة[2]ولقد اختار مفردة التراب عن قصد لما تحمله من دلالات اجتماعية تتعلق بناحية الملكية وتشريعاتها القانونية[3]والتراب عند بن نبي هو الأرض وما يوجد على سطحها وما تخزنه في جوفها، والأرض لا تقاس قيمتها بكبرها أو ضيقها وإنما بقيمة أهلها الاجتماعية«فحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة وحضارتها متقدمة يكون التراب عالي الثمن

[1] ينظر، مالك بن نبي:"شروط النهضة"، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص112.

[2] ينظر، المصدر نفسه، ص49.

[3] فوزية بريون:"مالك بن نبي"، عصره وحياته ونظريته في الحضارة، ص 231 .

وحينما تكون الأمة متخلفة-كما نقول اليوم-يكون التراب على قدرها من الانحطاط»[1] ويعطي بن نبي مثالا من الجزائر حيث موت الأرض الخضراء وانتشار الصحاري وعدم فعالية الإنسان في مواجهتها لتقاعسه عن العمل.

- **الوقـت**: للوقت قيمة اجتماعية يمنحها لو الإنسان إذ يصير في أمر ما ثروة وفي آخر عدما ولكن ما إن تظهر ساعة خطرة في التاريخ حتى تبعث غريزة البقاء الكامنة عند الإنسان في وقته الروح وتمنحه قيمة فينتفي العدم ليصبح جوهر الحياة الذي لا يقدر بثمن.

الزمن فضاء واسع قد استوعب واستغرق سائر الشعوب والأمم، فلقد رافق الإنسان منذ أن خلقه الله عز وجل على وجه الأرض، والوقت عند بن نبي«يتدفق على السواء في أرض كل شعب ومجال كل فرد، ولكنه في مجال ما يصير ثروة، وفي مجال آخر يتحول عدما»[2] وهنا يتبين لنا أن جوهر بن نبي يتلخص في توجيه طاقات الأمة الإسلامية الفكرية إلى فحص تراثها الثقافي وتنقيته، مادامت توفرت على أرضها عناصر الحضارة (الإنسان والتراب والوقت) وما دام الدين يلعب مهم فيها.

3- الإسلام ومستقبله عند بن نبي:

منذ قرن مضى والعالم الإسلامي يطل برأسه من خلف عصر ما بعد التحضر ومع ذلك فإنه لم يستقر بعد في وضعه الطبيعي ولم يسترد توازنه، وإن الانحلال الذي ساد في هذا العالم قد قضى عليه بالجمود والخمول والضعف والقابلية للاستعمار فأصبحت قيمة الإسلام في حالة تحجر إنه يطل بحالته المتأخرة هذه على القرن الواحد والعشرين الذي بلغ القمة في القوة المادية بينما قوته الأخلاقية في تدهور

[1] مالك بن نبي:"شروط النهضة"، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص139.

[2] المصدر نفسه، ص135.

فيرى بن نبي هذا الضعف الواضح في العالم الإسلامي ويستخدم مصطلح المرض بدل مصطلح الضعف ويقول أن بداية العلاج تتم بتحديد أسباب المرض«فإن من الواجب أن نضع أعيننا على المرض بالمصطلح الطبي، لكي تكون لدينا عنه فكرة سليمة، لأن الحديث عن المرض والشعور به لا يعني بداهة الدواء»[1] ويقصد بن نبي هنا وعي الشعوب فيما تتخبط من أمراض كالفقر والبطالة والتخلف والتبعية الاقتصادية، وأن تشخص حالتها أولا ثم تلجأ بعدها إلى الحلول.

مفهوم الإسلام

لقد ركز بن نبي اهتمامه على الفكرة الدينية كمؤشر للنهوض بالأمة الإسلامية واستئصال مرضها، وقد عرف بن نبي الإسلام حسب ما جاء في الحديث الشريف الذي رواه مسلم والترمذي والإمام أحمد والبخاري عن أبي هريرة[2] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة، وتصوم رمضان»أي الإسلام أن يسلم المرء نفسه بين يدي الله عز وجل.

ويرى غارودي في الإسلام أنه عقيدة التوحيد وعلم أخلاق العمل، وأن الإسلام لا يعني الطاعة بمعنى الاستسلام والجبرية والخضوع، فهذا هو استسلام بل هو استجابة لنداء الله عز وجل استجابة نشطة وحرة ومسئولة[3]، وكان موقف غارودي من الإسلام ايجابي جدا حيث ظهر ذلك جليا من تأثره

---

[1] مالك بن نبي:"شروط النهضة"، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص40.

[2] ينظر، مالك بن نبي:"القضايا الكبرى"، ص136.

[3] ينظر، روجيه غارودي :" لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة"، ترجمة محمد عثمان الخشن، ص81.

الكبير بتعاليم الإسلام والقرآن الكريم، ووصل غارودي إلى هذه القناعة بجهد طويل في البحث حيث ذكر ذلك في كتابه«كلام رجل».

ب- أسباب مرض المسلمين

يبين لنا بن نبي أن أسباب المرض الذي أصاب المسلمين يكمن في سبب رئيسي واحد وهو الخلل العقائدي، وأما الأسباب الأخرى ما هي إلا ثانوية.

-**الوثنية**: هي في نظر الإسلام جاهلية لأن الجهل لا يغرس أفكارا بل ينصب أصناما ويرى بن نبي ذلك أكثر وضوحا في الفكر الصوفي المنحرف حيث أهل الفتنة والدروشة والرقص إلا من رحم ربك في حين يخالفه غارودي الرأي في الصوفية «إنها رؤية كل شيء في الله، والله في كل شيء هي لازمة كل معرفة روحية، وهي مركز النسك الإسلامي».[1]

-**عدم الفاعلية**: إن فكرة العقيدة كان لها تأثير عميق في ضمير المسلمين الأوائل واليوم لم يعد لها التأثير نفسه، وقوة التوجيه لسلوكنا الفردي ولأعمالنا وأفكارنا ومشاعرنا فالبعض يكرر القول:«إننا لم نعد مسلمين إلا بشهادة الميلاد» فهذه حقيقة بالنسبة لابن نبي وهذا نتيجة ما نراه في عدم فعالية العقيدة حيث يضرب لنا مثالا عن صلاة الجمعة، فالخطباء يومها تكون كلماتهم مؤثرة تجعل بعض المصلين ذائبا في دموعه بل قد نرى الإمام نفسه قد خنقته شهقاته من شدة انفعاله، فإذا قضيت الصلاة بقيت الحقيقة التي زلزلت كيانه محبوسة في المسجد[2]، ولم تتبعه إلى الشارع كما خلص بن نبي إلى الانفصال بين العنصر

[1] أبو المجد أحمد :"رجاء غارودي"، رحلة فكر وحياة، ص133.

[2] ينظر، مالك بن نبي:"وجهة العالم الإسلامي"، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص48.

الروحي والعنصر الاجتماعي عبر النقطتين التاليتين: -«أن العقيدة الإسلامية لم يعد لها تأثير أو فاعلية في سلوك الفرد كما كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

- أن العقيدة الإسلامية تستعيد دورها بصورة تلقائية في محيط المسجد فقط»[1] فمعنى ذلك أن المسلم لا يجد في الحياة الإطار الضروري الذي ينقذ استقلاله الأخلاقي فيحس بطريقة غامضة أي أن بينه وبين هذا العالم تخلفا وانقطاعا.

- **ضعف الأساس المفاهيمي:** يبين لنا بن نبي أنه يوجد غياب للمفاهيم والأفكار في حس المسلمين، وخاصة العلاقة التي تنظم بين عالم الأفكار وعالم الأشياء حيث تبقى الفكرة معزولة ومحايدة، وبالتالي فقدانها لفعالياتها«فهو مجتمع فقير الأفكار، في الساعة التي تمثل فيها الأفكار الثروة الوحيدة التي يعول عليها»[2] وهنا المجتمع يكون أعزل مفاهميا وإيديولوجيا في حين أصبحت تسوى المنازعات في العالم بالأفكار لا بالأسلحة.

- **الفوضى والتمزق الفكري:** يوضح لنا بن نبي أن العالم الإسلامي لا يعيش منغلقا على ذاته فهو جزء من مجتمع عالمي يبيعه الأشياء ويفرض عليه في الوقت نفسه مقاييسه ويرغمه على أخذ معاييره الخاصة به، وعلى تمثل أفكاره حسنها وسيئها فيصبح تطوره مشروطا بهذه الرابطة المادية«حقا إن التقليد ليذهب مذاهب بعيدة المدى، وهو لا يعضد في هذا المدى غير فوضى من الأشياء والأفكار كعالمين منفصلين لا مجال في داخلهما لأي تنظيم أو ليس بينهما أية صلة جدلية»[3] فمعنى ذلك أن الأمة

---

[1] ينظر، مالك بن نبي:"ميلاد مجتمع"، ص104.

[2] مالك بن نبي :"فكرة كمنويلت إسلامي، ترجمة الطيب الشريف، ص22.

[3] المصدر نفسه، ص33.

الإسلامية تعيش في فوضى عارمة بسبب تقليدها للغرب ليس في الأشياء فقط بل حتى في الأفكار بكل أنواعها.

– **الاضطراب**:ذكر بن نبي لنا أن الفوضى في الأشياء والأفكار يكون من تبعاتها الحتمية انعدام الأمن في المجتمع، والفوضى الفكرية في أشكالها المختلفة تنتج الاضطراب الأخلاقي ويترجم ذلك بالسلبية في التعامل مع التراب والوقت، وهذا الاضطراب لا يترجم بطبيعة الحال بنفس الطريقة في المجتمعات، فالفوضى حسب رأيه تتمثل في«عالم متضارب منطو على ألوان من التناقض والتنافر التي تجمعت وتراكمت في هيئة فوضى»[1] فأفكارنا هي التي تحدد لنا نمط عيشنا وتجنبنا من فوضى نكون في غنى عنها.

– **القابلية للاستعمار**:تحدث بن نبي عن مشكلة الفراغ الذي استدعى ظاهرة الاستعمار، حيث رأى أن محصلة عوامل التخلف من جهل وفقر ومرض وانتكاس تؤدي إلى الاستعمار، كما بين لنا أن الاستعمار ليس ظاهرة خارجية بقدر ما هو ظاهرة داخلية، بمعنى أن هنالك عوامل اجتماعية تنخر المجتمع أطلق عليها بن نبي اسم القابلية للاستعمار، مفادها هو تقبل كل ما يطلقه المستعمر علينا بدون وعي ولا إدراك منا، فنردد ذلك على أساس أنها مسلمات صحيحة، ومثال ذلك التسليم بأن دول العام الثالث متخلفة، والغرب دائما يأخذ مرتبة القوة والتقدم، وهذا ما يولد الضعف في شخصيتنا الفكرية والنفسية، حيث تصبح الإعاقة فينا داخلية.

[1] مالك بن نبي:"وجهة العام الإسلامي"، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص77.

شغلت فكرة الاستعمار كثيرا بال المفكرين منهم بن نبي، إذ ذكرها في أغلب مؤلفاته واعتبرها من المعوقات الأساسية للإقلاع الحضاري ويعتبره «من الوجهة التاريخية نكسة في التاريخ الإنساني لأننا إذا بحثنا عنه فسنجد أصوله تعود إلى روما، حيث وضعت المدينة الرومانية طابعها الاستعماري في سجل التاريخ»[1] وهنا يبحث بن نبي الاستعمار علميا، وينظر إليه من أعماق التاريخ، ويوسع نطاق البحث فيه لأنه يرتبط بعلاقات الحضارة الغربية مع الإنسانية منذ قرون كما تأثر بن نبي بالثورة الجزائرية، وكتب عنها بحرارة حيث كانت مصدر فخر له وللجزائريين، ومصدر إعجاب لكثير من المفكرين الغربيين كغارودي مثلا الذي أنكر بشدة جرائم المستعمر الفرنسي ضد المدنيين الجزائريين العزل بل وكان شاهد عيان عليها، واهتم كذلك بالقضية الفلسطينية وأساطير إسرائيل المزعومة، وهو يحمل الغرب تخلف الحضارة الإسلامية عن الركب الحضاري « قد افترى الاستعمار الانجليزي والاسباني والفرنسي بنتيجة الدور الذي قام به في أرض الإسلام خلال أكثر من قرن افتراء منهجيا لإساءة سمعة إسهام الحضارة العربية»[2] كما أشار غارودي إلى تخطيط اليهود المسبق في احتلال الدول العربية كغزو لبنان مؤخرا حيث كتب اليهودي "بن جوريون" في يومياته هذه الملاحظة«إن ضعف عنصر التماسك العربي هو لبنان، فسيادة المسلمين في هذا سيادة مصطنعة، ويمكن تغييرها بسهولة، ولهذا يجب إنشاء دولة مسيحية في هذا البلد، على أن يكون حدها الجنوبي هو نهر الليطاني»[3] وهذا ما يطلق عليه بالحرب الإستباقية أي حرب يبيت فيها نية مسبقة على احتلال لبلد ما، والتخطيط لها منذ زمن بعيد.

---

[1] مالك بن نبي :"شروط النهضة"، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص148.

[2] أبو المجد احمد:"رجاء غارودي"رحلة فكر وحياة، ص101.

[3] روجيه غارودي :"الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية"، محمد حسنين هيكل، دار الشروق، القاهرة، ط4، 2002، ص334.

لقد كشف غارودي عن الأسباب التي هي مؤشرات للقضاء على البشرية في النقاط التالية:

-«الاقتصاد يسيطر عليه النمو المتمثل في الرغبة الجنونية في زيادة وسرعة الإنتاج، إنتاج أي شيء نافع أو غير نافع...ضار أو مميت.

-السياسة تحكمها علاقات اجتماعية داخلية وخارجية يسودها العنف المعبر عن صدام المصالح والنزوع إلى السيطرة بين الأفراد والطبقات والأمم.

-الثقافة عارية من المعنى والغاية، فالتقنية للتقنية، والعلم للعلم، والفن للفن، والحياة لغير هدف.

-العقيدة خاوية من التعالي الذي يمثل البعد الإنساني للإنسان»[1] وبين غارودي أن أعداء الدين يروا في الإسلام مجرد أداة نقل للثقافات، فهو لا يأتي بجديد، وهذا ما أنكره غارودي مشيرا إلى فضل الإسلام على الغرب.

لا يمكن أن نتصور بناء أو تركيب حضارة ما خارج المكان والزمان، فكل حضارة بالضرورة إلا ولها مكان وزمان معينين، فالمكان هو مجالها الحيوي والزمان هو عمرها الذي تعيشه يطول أو يقصر ولكن الحضارة ليست موجودة طبيعيا كباقي الموجودات الطبيعية التي تظهر تلقائيا بل هي موجود إنساني يشترك مع ما هو موجود في الطبيعة في المكان والزمان.

ويرى بن نبي أن لبناء حضارة يتطلب توفر العناصر الأساسية الإنسان والتراب والوقت بالإضافة إلى المكمل الرئيسي وهو الفكرة الدينية، وأن السبيل للنهوض من الحضيض هو بالعودة إلى روح الإسلام

[1] روجيه غارودي :" لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة"، محمد عثمان الخشن، ص89.

وتجسيدها في الواقع المعاش«ينبغي العودة ببساطة إلى روح الإسلام نفسها»[1] حيث يشير بن نبي إلى الهدي النبوي الذي يعطي في حالة الأولوية الفعالية الإسلامية«لم يترك الرسول صلى الله عليه وسلم فرصة واحدة تمر دون أن يحذرنا من مثل هذا التمسك والاكتفاء الذي نعرف اليوم آثاره المعوقة للنمو الاقتصادي في المجتمع الإسلامي الحالي»[2] فالمجتمع الإسلامي مدعو إلى الرجوع لتقاليده العليا (أي أفكاره الصحيحة) من أجل إثبات قدرته على تأمين الخبز اليومي لكل فرد.

ومن أجل تنمية البلدان الإسلامية يجب استعادة فعالية المتجمع الإسلامي من خلال«كل الأفواه يجب أن تجد قوتها وجميع الأيدي يجب أن تعمل عندئذ سوف لا تكون أفكاره مثقلة بعدم الفعالية، لأن الأيدي ساردة في تحريك عجلة ديناميتها الاجتماعية»[3]وكذلك بعقد العزم على التغيير والنهوض بالأمة الإسلامية مهما كلفنا ذلك، وإلا سوف يأتينا التغيير من الخارج ويفرض علينا فرضا[4]، فإن ثورة ما لا بد لها أن تسير طبقا للقانون الاجتماعي الذي تشير إليه الآية الكريمة ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[5] فالتغيير هنا ينبغي أن يكون من أعما ق أنفسنا وصدق نيتنا وعقد العزم على ذلك.

أما عن رؤية غارودي للتنمية لا تختلف عن رؤية بن نبي إذ يرى غارودي«أن نجاة الحضارة يرتبط بتنمية الإنسان لا بتنمية المادة، وتنمية الإنسان تستلزم إحياء التراث الروحي لكل الحضارات الإنسانية

---

[1] مالك بن نبي:" مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي"، ترجمة أحمد شعبو وإشراف عمر مسقاوي، ص113.

[2] المصدر نفسه، ص113.

[3] المصدر نفسه، ص118.

[4] ينظر، نور الدين خندودي :"مالك بن نبي " الحقيقة والمال، عالم الأفكار، الجزائر، ط2، 2008، ص34.

[5] سورة الرعد، آية 70.

السابقة على الحضارة الأوروبية والممهدة لها مما يعني حتمية حوار الحضارات»[1] ويقصد هنا أن اعتماد الدين والاعتراف بالغير هما المخرجين المنقدين للحضارة الغربية من تخبطها.

تعرضت كتابات بن نبي للنقد من بعض المفكرين كمحمد محمد حسنين وغازي التوبة[2] فمنهم من وجه النقد لنظرية الحضارة ومنهم إلى لأهم كتبه، فأما المسألة الأولى انصب النقد فيها على فكرة الدين في الحضارة، وقد ذكر بن نبي هذه الملاحظة أيضا في كتابه «شروط النهضة» حيث قال أنه استند على أفكار "كسرلنغ" وعلى معطيات التاريخ عندما تحدث عن الفكرة الدينية، ثم رأى أن هذا غير كاف فوضع فصل آخر بعنوان (أثر الفكرة الدينية في تكوين الحضارة) يحتاج فيه لمعاودة دراسة المشكلة لإدراك النقص[3]، ورغم هذا التعديل بقيت الفكرة غامضة للناقد محمد حسنين الذي رأى أن الفصل المخصص للدين من طرف بن نبي هو أكثر الفصول غموضا، وخصوصا حينما تكلم عن القوة الروحية، وكأنها منبعثة من فراغ في حين أن المصدر الوحيد للقيمة الروحية للدين تكمن في قيمته الاجتماعية، وبدونها يبقى الدين شبيها بالنظريات النفسية المجردة[4] أي أن تطبيق الدين لا يقتصر فقط على العبادات من صلاة وصوم وزكاة بل يشمل كذلك المعاملات من حسن الخلق وإتقان العمل والأخذ بيد الفقراء.

أما المسألة الثانية، في نظر غازي توبة أن بن نبي وقع في خطأ فكري نتج عن تحريك القابلية للاستعمار لذهنيته فأعطى التراب قيمة زائدة عن حدوده حيث وضع المعادلة: إنسان +تراب +وقت=حضارة، وليس من أحد ينكر أن الحضارة تستغل التراب الآن أحسن استغلال وتستفيد من

---

[1] روجيه غارودي :" لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة"، ترجمة محمد عثمان الخشن، ص60.

[2] ينظر، آمنة تشيكو:"مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرلوند توينبي"، ص 139 .

[3] ينظر، مالك بن نبي"شروط النهضة"، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص91.

[4] ينظر، آمنة تشيكو"مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرلوند توينبي"، ص140 .

الوقت أروع استفادة، وفي عصرنا يختنق الإنسان من أي حقبة سابقة، ولم يتأذى الإنسان بمنجزاته كما تأذى إنسان الآلة، إذن فاستغلال الإنسان للتراب والوقت لا يعطي بالضرورة حضارة بل قد يكون: إنسان+وقت+تراب=دمار، والوضع الصحيح للمعادلة هو: إنسان متوازن=حضارة، ولما كان المسلم حتما متوازنا تصبح المعادلة: إنسان مسلم=حضارة[1] ويبدو لنا أن نقد الدكتور محمد محمد حسنين كان مبالغا فيه إلى حد ما، فابن نبي كان يقصد بالقوة الروحية قدرة الدين على تنظيم الغرائز وبناء أشخاص قادرين على إقامة حضارة وبالنسبة للدكتور غازي التوبة لقد أغفل جانبا مهما في نظرية بن نبي ألا وهو تدخل الدين كمركب أساسي في عناصر المعادلة وبالتالي يمكننا القول:إنسان متوازن+تراب+وقت=حضارة[2] والإنسان المسلم لابد بالضرورة من اتزانه على حسب ما فرضه عليه إسلامه.

[1] ينظر، آمنة تشيكو"مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرلوند توينبي"، ص141.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص142.

الفصل الثاني:

مفهوم الحضارة عند رجاء غارودي

أولا: روجيه غارودي حياته وظروف نشأته.

ثانيا: الحوار الحضاري.

ثالثا: الحوار الحضاري عند رجاء غارودي.

1- روجيه غارودي حياته وظروف نشأته:

كانت لروجيه غارودي رؤيته الخاصة حول الإسلام ودوره العالمي في استيعاب الحضارات والأديان والثقافات الأخرى مهما اختلفت وتباعدت عنه، وهو يعتقد بأن الإسلام صاحب الرسالة السماوية الأخيرة، والوحيدة القادرة على توحيد الشعوب تحت مظلة عالمية واحدة تجمع كل الديانات والثقافات وتقوم على مبدأ الاحترام والعدل والمساواة.

روجيه جان شارل غارودي Roger Garaudy فيلسوف و كاتب فرنسي ولد في 17 جويلة1913م بمرسيليا (فرنسا)[1] من أبوين ملحدين ومن بيئة عمالية بسيطة، حيث كان يعمل أبوه كمحاسب متواضع وأمه كعاملة في مصنع لإنتاج القبعات.

تلقى روجيه غارودي دروسه الأولى في مرسيليا ثم انتقل إلى مدرسة هنري الرابع في باريس ثم انضم إلى الحزب الشيوعي الفرنسي عام 1933م، وتحصل غارودي على إجازة الفلسفة عام 1936م فعين آنذاك أستاذا لتعليم الفلسفة في مدرسة "إلي"[2]، كما زار غارودي عدة بلدان أجنبية وغربية ونهل من علومها الكثير، ولقد أوصله مشواره الدءوب في البحث عن حقيقة الكون إلى الإسلام.

ومع بداية الحرب العالمية الثانية اعتقل غارودي بدعوى خطورته على الدفاع والأمن في الجلفة بصحراء الجزائر«في الرابع من مارس سنة 1941م حيث قال أنهم كانوا زهاء خمسمائة مناضل من

[1] ينظر، أبو المجد أحمد :"رجاء غارودي"رحلة فكر وحياة، ص25.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص25.

المعتقلين والمسجونين لمقاومتنا الهتلرية، وقد هجرنا إلى الجلفة في جنوب الجزائر»[1] وبما أنه كان عضواً في الحوار المسيحي الشيوعي في الستينيات، فقد وجد نفسه منجذباً للدين وحاول أن يجمع الكاثوليكية مع الشيوعية خلال عقد السبعينيات، حيث اعتنق الماركسية لكن ما لبث أن طرد من الحزب الشيوعي عام 1970م[2]، وذلك لانتقاداته المستمرة للاتحاد السوفيتي ثم ما لبث أن اعتنق الإسلام عام 1982م متخذا الاسم رجاء حيث قال عن أول احتكاك له بالإسلام «أول احتكاك في حياتي الشخصية مع الإسلام كان احتكاكا برجال، رجال أدين لهم بحياتي»[3] وهو يقصد هنا تلك الحادثة التي جرت له في الجلفة حين رفض حاملي الرشاشات-وهم جزائريون-إطلاق النار عليه رغم تهديد قائد المعسكر لهم بالسوط، مما أثار فضول غارودي عن معرفة السبب، وحينها عرف أن شرف المحارب المسلم يمنعه من إطلاق النار على إنسان أعزل، وأما عن حقيقة اعتناق غارودي الإسلام هو أنه وجد الحضارة الغربية قد بنيت على فهم خاطئ للإنسان وأنه عبر حياته كان يبحث عن معنى معين لم يجده إلا في الإسلام.

لقد قام غارودي بالتعاون مع مسئول منظمة اليونسكو بتأسيس"المعهد الدولي لحوار الحضارات"سنة1976م[4] بهدف إبراز دور البلاد غير الغربية وإسهامها في الثقافة العالمية حتى يتوقف الحوار ذو البعد الواحد من جانب الغرب أو"المونولوج" الذي يقوم على وهم وعقدة التفوق عند الإنسان الغربي.

---

[1] روجيه غارودي:" في سبيل حوار الحضارات"، ترجمة عادل العوا، ص5.

[2] ينظر،المصدر نفسه، ص25.

[3] أبو المجد أحمد :"رجاء غارودي"رحلة فكر وحياة، ص25.

[4] ينظر، روجيه غارودي :" لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة"، ترجمة محمد عثمان الخشن، ص58.

كان غارودي على عداء دائم للإمبريالية والرأسمالية و بالذات لأمريكا، وبعد مجازر صبرا وشاتيلا في لبنان أصدر غارودي بيانا احتل الصفحة الثانية عشرة من عدد 17 من حزيران 1982م من جريدة اللوموند الفرنسية بعنوان «معنى العدوان الإسرائيلي بعد مجازر لبنان»[1] وقد كان هذا بداية صدام غارودي مع المنظمات الصهيونية التي شنت حملة ضده في فرنسا والعالم.

وفي سنة 1998م حكمت محكمة فرنسية على غارودي بتهمة التشكيك في محرقة اليهود في كتابه الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل[2] حيث شكك في الأرقام الشائعة حول إبادة يهود أوربا في غرف الغاز على أيدي النازيين.

رحل غارودي صاحب مشروع حوار الحضارات في 13من جويلية 2012م بهدوء شديد عن عمر يناهز ثمانية وتسعون عاما[3]، وبعيدا عن الأضواء بعكس حياته المثيرة للجدل والتي امتلأت بقضايا ومحاكمات ضده في ثلثها الأخير، وذلك منذ أسلم وبدأ في دفاعه عن الإسلام ومناهضته للرأسمالية والإمبريالية، ومعاداته لإسرائيل والحركة الصهيونية ومنذ أن كتب وألف وبحث منتقدا جرائم الدولة الصهيونية ومفندا خرافات الهولوكوست.

رغم حداثة إسلام غارودي وكثرة المصاعب التي واجهته سواء من حيث اللغة أو الثقافة العربية استطاع أن يؤلف أكثر من أربعين كتابا منها:

---

[1] ينظر، روجيه غارودي :" لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة"، ترجمة محمد عثمان الخشن، ص81.

[2] ينظر، روجيه غارودي:" الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية"، تقديم محمد حسنين هيكل، ص201.

[3] ينظر، موقع google : بوابة الأخبار المصرية، تاريخ الصدور15 يونيو 2012.

-**آفاق الإنسان**:كتاب صدر سنة 1956م حاور فيه غارودي كبار فلاسفة القرن العشرين ومنهم فلاسفة غير الماركسيين المعارضين لموقفه، مبينا بإسهاب وجهات نظرهم بشكل حيادي بخلاف المنهج الذي اشتهر عن زملائه الماركسيين في مثل هذه الحالات.

-**أسئلة موجهة إلى سارتر**:كتاب صدر سنة 1960م في معرض تصديه للوجودية، وفي سنة 1961م جرى حوار علني في قاعة الموتوياليته بين غارودي وسارتر حول الديالكتيكية حيث هاجم غارودي تأويل سارتر لها.

-**واقعية بلا ضفاف**:كتاب انتقد فيه غاروي بشدة نظرية الواقعية الاشتراكية الكلاسيكية واعترض على فلسفتها التي تجمد الفنون والآداب، وتجعل من الالتزام بالنظرية أو المجتمع إلزاما حديديا يخنق الخلق الفني ويجمد أنفاسه[1]، وقد أثار هذا الكتاب ضجة في الأواسط الأدبية والفنية وترجم إلى اللغة العربية، وقدم في مجلة الهلال عام تسعمائة وألف وأربعة وستين من طرف الأستاذ كامل زهيري.

-**نداء إلى الأحياء**:كتاب صدر سنة 1979م حاول فيه صاحبه العثور على مخرج من المأزق الذي تواجهه الحضارة الإنسانية المعاصرة ذات التوجه الغربي، وشرح غارودي بإسهاب هذه الاتجاهات ثم يذكر رحلة استكشاف للبعد الإلهي ليلاحظ الفرق بين جوهر الديانات غيرالسماوية، وتطور الديانة اليهودية ومفهوم الإله فيها[2]، وكذلك ملاحظته تدخل البشر في كتابة الأناجيل المسيحية الحالية بمفهوم مسبق.

---

[1] ينظر، أبو المجد أحمد:"رجاء غارودي"رحلة فك وحياة، ص47.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص113 ، 114.

-**ماركسية القرن العشرين**:كتاب صدر سنة1966م وكان علامة هامة في مشوار غارودي الفكري، واختلافه مع حزبه وتبلورت قناعته بإمكانيات الإسلام في العطاء حيث شكلت صدمة البيان الذي ألقاه خروتشوف في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي[1] أثرا كبيرا في فكر غارودي، فأحس بأعمق خيبة أمل مما دفعه للبحث عن ملاذ ليقينه من جديد.

-**في سبيل نموذج وطني للاشتراكية**:كتاب صدر سنة 1968م نشره صاحبه وهو شديد التأثر بتسلسل الأحداث في تشيكوسلوفاكيا حيث انتهى الأمر إلى احتلالها من قبل قوات حلف وارسو والذي عارضه غارودي وكثير من الماركسيين حيث رأى غارودي بإمكانية تعدد نماذج الاشتراكية فراجع مقولات الماركسية التي اعتبرت ثوابت مقدسة، ثم استبدلها بمفاهيم أخرى كمفهوم الطبقة العاملة الذي أعطاه غارودي مفهوم الكتلة التاريخية الجديدة، وأصبح يتسع للمثقفين.

-**منعطف الاشتراكية الكبير**:كتاب صدر1969م وجاء للتأكيد والدفاع على جميع آراء غارودي الذي ذكرها في كتاب"في سبيل نموذج وطني اشتراكي"حيث طالب غارودي فيه بضرورة تعديل وتصحيح الماركسية، فقوبل غارودي بمعارك سياسية وفكرية من قبل المكتب السياسي للحزب الشيوعي واتهامه بالترويج لمشروع تحريفي وانقسامي.

-**الحقيقة كلها**:كتاب صدر سنة1970م بعد المؤتمر التاسع عشر للحزب الشيوعي الفرنسي وما أسفر عنه، وهو كتاب يفضح آلية العمل للقادة السوفيت[2]، ويتضمن كذلك جميع نصوص الرسائل المتبادلة بين غارودي وزملائه في اللجنة السياسية للحزب الشيوعي الفرنسي طوال فترة خلافه معهم إلى

---

[1] ينظر، أبو المجد أحمد:"رجاء غارودي"رحلة فك وحياة ، ص42.

[2] أمينة الصاوي وعبد العزيز شرف:"رجاء غارودي وحضارة الإسلام"، مكتبة مصر للطباعة، ص101.

جانب نصوص أهم المقالات التي سبق أن نشرها في الصحف والمجلات الأوروبية معلنا آراءه المتميزة والمعارضة، ونصوص لردود بعض الشيوعيين عليها، ويشرح غارودي في هذا الكتاب تسلسل وتصاعد الخلاف مع حزبه.

-**البديل**:كتاب صدر عام 1972م وجاء كبديل ممكن للاتقاد الإنساني، حيث جمع فيه غارودي خلاصة تجربته وهمومه ووضح رؤاه لدروب المستقبل كما يراه[1]، وذكر فيه غارودي التزامه وتحمل مسؤوليته، كما خاطب فيه الشباب بالدرجة الأولى وحملهم هذا الالتزام.

-**أن ترقص الحياة**:كتاب صدر عام 1973م ومضمونه يدور حول علم الجمال الذي كان يدرسه من قبله لطلبة جامعة بواتيه، وفيه يعتبر غارودي الرقص رمزا لفعل الحياة.

-**البدائل الاشتراكية**:مجلة سياسية صدر العدد الأول منها في شهر يناير من عام 1974م وركز في افتتاحها على نفس الأفكار تقريبا التي ألقاها في محاضرته بالمجمع المسكوني المنعقد في جنيف سنة1973م، والذي تضمن موقف غارودي من الحضارة الغربية والمستقبل البشري.

-**حوار الحضارات**:كتاب صدر عام 1977م واختص غارودي قراء العربية بمقدمة خاصة للترجمة، ترجمها الدكتور عادل العوا ونشرته دار عويدات للطباعة والنشر في سلسلة "زدني علما" وقد جاء في مقدمة كتاب"حوار الحضارات"«في كل مرحلة من هذه المسيرة حول العالم قرأت كتب الإنسان المقدسة:(زاندافستا) الزراديتشيين في إيران وملحمة جلجامش عن الخليج العربي وملحمة رامانايا في دلهي.. وقرأت القرآن مثلما قرأت التوراة، ومن هذه الأنوار الماضية كان أناسي عصرنا يمتحنون معنى

[1] ينظر، أبو المجد أحمد:"رجاء غارودي"رحلة فكر وحياة، ص57.

وجودهم وترتدي وجهها الإنساني»[1] حيث أن الفكرة الرئيسية في "حوار الحضارات"هي إحساس غارودي العميق بأن الغرب عرض طارئ، وتأكيده أن حوار الحضارات الحقيقي هو اعتبار الإنسان الآخر جزءا من الغرب، واليوم يأتي خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز بنزعته القيادية العالمية ومبادرته الشمولية البارزة للحوار الحضاري بين أتباع الديانات والثقافات.

-**وعود الإسلام**:كتاب صدر عام 1983م ويدعو غارودي فيه إلى حوار حقيقي بين مختلف الحضارات[2] ويذكرنا مما يدين به الغرب للإسلام الذي يتميز بخصب علومه وفلسفته وآدابه وبفضل الإسلام كان الشرق متفوق على الغرب، ويتوجه غارودي بهذا الكتاب إلى جمهور غير مسلم يريد أن ينزع الكمامات عن عيونه ويخلصه من أحكامه المسبقة.

-**لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة**:كتاب مضمونه هو حوار أجرته مجلة الأمة القطرية العدد 29 سنة 1983م يذكر فيه غارودي بداية حياته من الصفر ثم مرحلة اعتناقه المسيحية في صورتها البروتستانتية إلى اعتناقه التام للماركسية، ثم مرحلة مراجعة شاملة للماركسية التي تجمدت في قوالب من صلب منعتها من مسايرة التطور الحضاري، ثم مرحلة اشتراكية التسيير الذاتي إلى الانفتاح وحوار الحضارتين إلى دراسة موضوعية الإسلام[3] واهتمام مطرد به كأيديولوجية تقدم تصورا متكاملا ومعقولا للكون والحياة.

---

[1] روجيه غارودي:" في سبيل حوار الحضارات"، ترجمة عادل العوا، ص12،13.

[2] ينظر، روجيه غارودي:"وعود الإسلام"، ترجمة ذوقان قرقوط، دار الرقي بيروت، مكتبة مدبولي القاهرة، ط2، 1985 ص6.

[3] ينظر، روجيه غارودي:" لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة"، ترجمة محمد عثمان الخشن، ص108.

-**إسرائيل بين اليهودية والصهيونية**:كتاب صدر سنة 1990م يكشف غارودي فيه عن الفارق الأساسي بين اليهودية كديانة تتطلع إلى الشمولية الإنسانية، والى خلاص الإنسان وبين الصهيونية كحركة أساسية عملت وتعمل على تحريف بعض المفاهيم الواردة في التوراة[1]، وكذا يكشف على الوجه الاستعماري للحركة الصهيونية.

-**فلسطين أرض الرسالات السماوية**:كتاب صدر سنة1991م وهو محاولة لانقاد تاريخ فلسطين من الأسطورة التي اخترعها الصهاينة ليقنعوا العالم بأن هذه الأرض هبة من الله لهم[2]وفيه أيضا دراسة نشوء العقيدة الصهيونية ومنطقها القائم على التمييز العنصري.

-**الولايات المتحدة طليعة الانحطاط(كيف نحضر للقرن الحادي والعشرين)**:كتاب صدر سنة 1998م يعالج فيه غارودي مظاهر التخلف كالبطالة والتسريح والهجرة والعنف والمخدرات...[3]وكيفية الإمساك بوحدة هذه المشكلات وفهم معناها في ظل سيطرة النظام الرأسمالي وعودة الأصوليات الإسلامية والمسيحية واليهودية.

-**الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية**:كتاب صدر سنة 1998م عرض فيه غارودي مجموعة الأساطير اليهودية المزعومة[4]منها:الأرض الموعودة لليهود في فلسطين واليهود شعب الله المختار

---

[1] ينظر، روجيه غارودي :" إسرائيل بين اليهودية والصهيونية"، ترجمة حسين حيدر، دار التضامن لبنان، 1990، ص5.

[2] ينظر، روجيه غارودي :" فلسطين أرض الرسالات السماوية"،ترجمة قصي أتاسي وميشيل واكيم، دار طلاس دمشق،1991 د.ط ص359.

[3] ينظر، روجيه غارودي:"الولايات المتحدة طليعة الانحطاط"، ترجمة مروان حموي، ص2.

[4] ينظر، روجيه غارودي:"الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية"، تقديم محمد حسنين هيكل وترجمة محمد هشام، ص 5،6.

وأرض بلا شعب لشعب بلا أرض والمحرقة النازية "هولوكوست" والعقيدة اليهودية والصهيونية السياسية والمسافة بينهما.

-**حفارو القبور (الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها)**: كتاب صدر سنة 1999م نقله للعربية عزة صبحي في دار الشروق بالقاهرة يدعو فيه صاحبه القارئ بأسلوب آخر للحياة تنسجم فيه كل الأبعاد الإنسانية من تلك الخاصة بالعاطفة والفن إلى تلك الخاصة بالسياسة والإيمان[1]، ويقصد هنا غارودي الحركة الصهيونية هي التي تبيد البشرية من أجل مصالحها.

قام رجاء غارودي بنقد الصهيونية في كتابه«الأساطير المؤسسة للسياسات الإسرائيلية» فتناول فيه أشكال الأساطير اللاهوتية التي قامت عليها دولة إسرائيل مركزا على أساطير الأرض الموعودة والشعب المختار و التطهير العرقي.

-**أسطورة الأرض الموعودة**:لقد جاء الوعد الأبوي في سفر التكوين، لم يقطعه "يهوه" (وهو الإله الذي دخل فلسطين مع جماعة الخروج) بل قطعه الإله الكنعاني"ايل" في إحدى تجلياته لأن الإله المحلي الذي يملك الأرض هو وحده الذي يملك أن يسمح للبدو الرحل بالاستقرار في أرضه، وتجمعت عدة قبائل من البدو الذين توطنوا وشكلوا معا "شعب إسرائيل"، ثم أصبح ينظر إلى هذا الوعد كنموذج للغزو النهائي لفلسطين[2]حيث وصف غارودي أسطورة الأرض الموعودة

[1] ينظر، روجيه غارودي :"حفارو القبور"، ترجمة عزه صبحي، دار الشروق القاهرة، د.ط، 1999، ص10.

[2] ينظر، روجيه غارودي"الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية"، تقدم محمد حسنين هيكل، ص46.

بأنها ذريعة للاستعمار الدموي الذي مارسته إسرائيل تحت شعار ديني، وبعد مناقشة مطولة للأسطورة يؤكد غارودي على أن الوعد الإلهي الموهوم يستغل سياسياً ويتحول إلى صك من صكوك الملكية لخدمة أغراض غير توراتية «الدولة الصهيونية لا تملك في وجودها أي شرعية توراتية أو قانونية، وأن جميع تصرفاتها الداخلية والخارجية برهان دامغ على عنصريتها وإرهابها»[1] وقال إن الأسطورة لا أساس ديني لها باعتراف الحاخام "ألمر برجر" الرئيس السابق لرابطة مناجل اليهود.

– **أسطورة الشعب المختار**:وحول هذه الأسطورة يرصد غارودي القراءة المتطرفة للسياسة الصهيونية، التي تسعى لإرساء عقيدة التميز بدون أساس تاريخي حيث قال الحاخام كوهين في كتابه التلمود«يمكن تقسيم سكان العالم إلى قسمين إسرائيل من جهة، والأمم الأخرى مجتمعة من جهة أخرى، فإسرائيل هي الشعب المختار:وهذه عقيدة أساسية»[2] فالأسطورة تؤكد أن الله ميز اليهود وحدهم بالعهد القديم«فالصهيونيين الذين يزعمون أن الله لهم وحدهم، وأنهم شعب الله المختار دون غيرهم لن يقبلوا مشاركة أحد لهم في هذا الاحتكار ولن تراهم قط مبشرين بدين يدعو الناس إلى الدخول فيه خلاف أصحاب الأديان أجمعين إنهم كأصحاب الميراث الذين لا يقبلون شريكا فيه»[3] لكن التوراة ذاتها لا تؤكد هذا الزعم.

– **أسطورة التطهير العرقي**:وعن أسطورة التطهير العرقي يرى غارودي أن هذه الأسطورة تم تلميعها بعد اقتباسها من سفر يشوع لإضفاء شرعية على سياسة التطهير العرقي في فلسطين أو ما

---

[1] عدنان سعد الدين:"حوار مع الأستاذ رجاء غارودي"، دار التضامن القاهرة، د.ط، 1984، ص10.

[2] روجيه غارودي:"الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية"، تقديم محمد حسينين هيكل، ص54.

[3] أمينة الصاوي :"رجاء غارودي وحضارة الإسلام"، ص114.

يسمونه الإبادة المقدسة، وجعلها تكراراً لما فعله الأنبياء وكأنه أمر إلهي«الأسطورة التاريخية التي استندت الصهيونية إليها هي أسطورة العرق والحنين الدائم للعودة... وترمي رواية النسب الوهمي إلى الاعتقاد بأن يهود العالم اليوم متحدرون من عرق واحد، وأنهم قدموا كتلة واحدة بناء على أمر من الله»[1] ويلجأ غارودي هنا إلى علم الآثار ليؤكد أن الحفائر الأثرية برهنت على أن الإسرائيليين الذين وصلوا في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد لم يستطيعوا الاستيلاء على أريحا لأنها كانت غير مأهولة، ولهذا فمن المستحيل ربط تدمير أريحا بدخول الإسرائيليين وهكذا الحال مع باقي مدن الأسطورة.

– **الهولوكوست وخرافة الملايين الستة:** تحت عنوان أسطورة وخرافة الملايين الستة، كما ناقش غارودي قضية الهولوكوست وكان رأيه أن أرقام الضحايا مبالغ فيها بشكل غير صحيح«هناك بالفعل مأساة لحقت باليهود في أوربا تحت حكم النازي (وأيضا قبله) وليس من المقبول إنكار المأساة من الأساس لأن إسرائيل تستغلها للتعمية والتغطية على مأساة أخرى أكثر فداحة منها وقعت على عرب فلسطين (قتل الناس واغتصاب وطنهم)»[2] حيث استهدف هتلر طائفة اليهود باعتبارهم من العرق الآري ولتطابقهم مع الشيوعية، فأقدم على حرقهم.

---

[1] روجيه غارودي:"إسرائيل بين اليهودية والصهيونية"، ترجمة حسين حيدر، ص53.

[2] روجيه غارودي:"الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية"، تقديم محمد حسينين هيكل، ص9.

د- الماركسية عند غارودي:

الماركسية في رأي غارودي أكثر من مذهب ومنهاج في التفكير والتنظير، وهي منطق نضالي للتعبير، هي فلسفة للفن تجعل قارئها يتذوق طعم التزاوج بين: الفلسفة والاقتصاد السياسي...علم الاجتماع والوجودية، العلوم الإنسانية وعلوم المادة...الثورة الجدلية وجدلية الثورة، زرع الإيمان بالفعل الإنساني[1]، وإن الأطروحة المؤسسة للمادية التاريخية لكارل ماركس تكمن في وعي وفكر الإنسان داخل التاريخ، وهذا الوعي والفكر ليسا انعكاسا سلبيا لوجود الإنسان وتاريخه، وإنما لحظة من كلية الوجود والتاريخ اللحظة الايجابية والفعالة.

انضم غارودي إلى الحزب الشيوعي الفرنسي في عام 1930م بعدما كان مسيحيا، حيث كانت الشيوعية تقدم في نظر الأوربيين الحل الوحيد الذي يطرح بديلا للخروج من أزمة الرأسمالية وكانت في نظر غارودي الأسلوب الأمثل لمعالجة المشكلات الإنسانية المستعصية بأسلوب علمي واقعي يأخذ على عاتقه مهمة تحقيق مصالح الجماهير، حيث قال غارودي:«المادية الديالكتية تتيح لنا استبعاد كل ما يشكل عقبة في طريق البحث ويجعله عقيما، وهي أداة العمل التي لا غنى عنها لكل عالم يهتم بأن لا تنصب خصوبة فكره أو بحثه بسبب أي وهم مسبق مضاد للعلم»[2] بينما بن نبي فله مأخذ عن الماركسية التي تنادي بالمادية وتمهل الجانب الروحي، إذ يقول عن التجربة الماركسية التي تبدو مع ذلك قد تجاوزها الزمن على الصعيد العلمي كما على الصعيد الفلسفي فإن النخبة الغربية التي بهرتها المادية الجدلية خصوصا في نهاية الحرب العالمية الثانية أصبحت تستفيق لتستعيد استقلالها الفكري تجاهها في السنوات

[1] ينظر، روجيه غارودي :"الماركسية"، ترجمة محمد الأمين بحري، دار الحكمة، الجزائر، د.ط، 2009، ص15.

[2] روجيه غارودي :" لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة"، ترجمة محمد عثمان الخشن، ص16.

الأخيرة، في حين نرى هذه النظرية تشغل فكر بعض النخبة المسلمة وتستوحد عليها[1] فمن هنا لا نستطيع أن نقلد الآخرين في سائر الدروب التي مشوا فيها، بل يجب علينا أن نطرق أبواب أخرى أكثر ملائمة مع تقاليدنا، لكن ما لبث أن بنى غارودي موقفا نقديا متميزا للكثير من المسلمات الماركسية الثابتة متعرضا لعدم الرضى المتزايد من جانب زملائه في الأحزاب الشيوعية، وفي عام 1966م أصدر غاررودي كتابه«ماركسية القرن العشرين»متهما فيه الماركسية بالتحول إلى دين رسمي ذي طقوس وإتباع وانتقد مقولة «الدين أفيون الشعوب»مبينا أن القول بالدين في كل زمان ومكان الذي يصرف الإنسان عن العمل والكفاح يتناقض تناقضا صارخا مع الواقع التاريخي[2] ومن هنا غير اتجاهه من الماركسية المادية إلى الإسلام الشمولي الذي وفق بين المادة والروح معا.

إسلام رجاء غارودي

أشهر غارودي إسلامه في11من رمضان سنة 1402هـ الموافق لليوم الثاني من شهر جويلية سنة 1982م في جنيف بسويسرا[3] فغير اسمه من "روجيه" إلى رجاء غارودي.

إن اعتناق غارودي الإسلام حدث بعد أن أيقن من أفول وفساد الشيوعية التي التحق بها ناشطا وعضوا حركيا منذ الحرب العالمية الثانية، وبعد أن أيقن أيضا بفساد الليبرالية الغربية، وبعد أن عجز عن الاقتناع بديانة أمه الكاثولوكية أو بإلحاد والده أو حتى ديانته البروتستانتية، دخل الإسلام لأنه آمن بأنه ينسجم مع قيم العدالة الاجتماعية التي يؤمن بها.

---

[1] ينظر، مالك بن نبي:"مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي"، ترجمة أحمد شعبو وتقديم عمر مسقاوي، ص162.

[2] ينظر، أبو المجد أحمد :"رجاء غارودي"رحلة فكر وحياة، ص48، 49 .

[3] ينظر، المرجع نفسه، ص159.

ويرجع سبب اختيار غارودي الدين الإسلامي إلى قوله أن الإسلام أظهر شمولية كبرى في استيعابه لسائر الشعوب ذات الديانات المختلفة، وكان أكثر الأديان شمولية في استقباله للناس الذين يؤمنون بالتوحيد وكان منفتحا على ثقافات الديانات الأخرى وحضاراتها،[1] وبسبب هذه الشمولية الإسلامية اقتنع غارودي بالإسلام كعامل موحد وجامع للشعوب المتناحرة، ورأى الإسلام كقوة تستطيع إنقاذ الشعوب من ويلات صناعة الحروب وترويجها، ومن حياكة المؤامرات والصراعات العرقية والدينية من أجل نهب الأرض والثروات.

2-الحوار الحضاري:

لقد استأثر كل من موضوعي حوار الحضارات وصراع الحضارات خلال العقدين الأخيرين باهتمام المفكرين والمثقفين والسياسيين في كل من العالمين العربي الإسلامي والغربي، و قد أخذ هذا الاهتمام منحى تصاعدي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 بنيويورك.

تغير وجه العالم بعد هذه الأحداث حيث أصبحت إدارة المحافظين الجدد بالولايات المتحدة الأمريكية و كأنها في سباق مع الزمن لبسط سيطرتها بصفة نهائية على العالم لأنها تقدر أن الظروف أصبحت مواتية لذلك.

أ-الحوار في الإسلام:

الحوار لغة:في معجم الوسيط هو«حاوره محاورة وحوار:جاوبه وجادله، وفي التنزيل العزيز:﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾»[2] حيث يتميز كل مجتمع بحضارته الخاصة، وبالتالي مشاكله الخاصة، إلا أنه غير

[1] ينظر، عدنان سعد الدين:"حوار مع الأستاذ رجاء غارودي"، ص50.

[2] مجمع اللغة العربية:"المعجم الوسيط"، دار الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004، ص205.

منعزل عن غيره من المجتمعات وحضاراتها، بحكم خضوعه لقانون التأثير المتبادل، فكل حضارة تجمعها مع غيرها علاقة تأثير وتأثر، وبالتالي فإن هناك مشاكل مشتركة بين كل المجتمعات والحضارات، أي مشاكل عالمية لا يمكن فهمها إلا في نطاق الواقع العالمي، ولا يمكن حلها حلا صحيحا إلا في النطاق العالمي أيضا، وهنا يكون حوار الحضارات وسيلة لحل هذه المشاكل، وتعيين القرار الذي ترى أغلبية المجتمعات أنه الحل الصحيح.

يحض الإسلام على الحوار والتفاهم والتعارف والتعايش السلمي، ذلك أن الدين الحق لا يقوم إلا على الإقناع و الاقتناع، ولا يوجد إيمان بحد السيف، فالإيمان لغة هو التصديق، وآيات القرآن عديدة في هذا المجال:﴿اُدْعُ إِلَىَ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَ المَوْعِظَةِ الحسَنَةِ وَجَادِلهُمْ بِالتِي هِيَ أَحْسَن﴾[1] ولأن البشرية تنقسم إلى شعوب و قبائل فان الدعوة تكون ﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[2] وقوله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَّيَنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِ﴾[3] وقوله عز وجل﴿اَفَأَنْتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[4] وعندما تتمايز الأمم فإن الهدف الأسمى هو التعايش والتعارف وعدم استعلاء طائفة على أخرى، ولا أمة على أمة، ثم يكون الأكرم عند الله هو الأكثر تقوى، والحساب النهائي عند الله ليس على هذه الأرض الفانية، إذن من وجهة النظر الإسلامية، لا توجد أي مشكلة على الأرض، بسبب الخلاف في الرأي أو

[1] سورة النحل، آية125.

[2] سورة الحجرات، آية13.

[3] سورة البقرة، آية 256.

[4] سورة يونس، آية99.

العقيدة أو اللون أو العرق أو القومية، بل أن الإسلام يدعو إلى مبادرة سلمية في إعمار الأرض والتخلية بين الإنسان و اختياراته العقائدية.

ب- عقيدة مارتون:

إن سقوط جدار برلين و انهيار المعسكر الشيوعي قد أشّر على دخول العالم في مرحلة القطبية الأحادية وما يعنيه ذلك من اختلال كبير على مستوى التوازن الاستراتجي بالعالم، وفي نفس الوقت وصل التقهقر السياسي و الاجتماعي و الاقتصادي في العالم الإسلامي إلى مستويات كبيرة و يظهر ذلك من خلال مؤشرات التنمية البشرية بالدول العربية والإسلامية و من خلال الأوضاع السياسية بتلك الدول لم تبق أمام أمريكا قوة عالمية منافسة تجمع بين التفوق التكنولوجي و العسكري و العلمي إلى جانب التفوق الاقتصادي و المالي، حتى أضحت الولايات المتحدة هي صانعة القرار السياسي على المستوى الدولي، في هذه الظروف والتي سماها غارودي عقدة مارثون أي عقدة تفوق الجنس الأبيض في كل مجالات التطور على الآخر، بل وحتى منعه بالقوة من منافستها«وأنا أطلق عبارة الشر الأبيض على هذا الجانب من الدور المشؤوم الذي نهض به الإنسان الأبيض في التاريخ»[1] سمحت هذه العقدة للولايات المتحدة باحتلال أفغانستان ثم العراق دون تزكية من المنتظم الدولي، وهي تلوح بحروب أخرى في إطار ما يسمى بالحرب على الإرهاب هذه الحرب ليست كباقي الحروب كما يقول الرئيس الأمريكي جورج بوش فهي حرب طويلة الأمد لا يعرف أحد نهايتها، وهي حرب تطال الجوانب العسكرية واللوجستيكية وكذلك الجوانب السياسية و الثقافية والتربوية و الدينية و غيرها.

[1] روجيه غارودي:" في سبيل حوار الحضارات"، ترجمة عادل العوا، ص8.

الصراع هو ظاهرة كونية تجسدت في سلوك الإنسان الحركي والفكري والصراع الحضاري ما هو إلا حالة طبيعية يمارسها الجنس البشري بصورة مستمرة من أجل البقاء، ولقد تبنت بعض النظريات الغربية هذا المصطلح وعرفته بأشكال شتى منها: نظرية الداروينية ونظرية الجنس ونظرية البيئة...أما الباحثون المسلمون أنكروا مسألة الصراع واعتبروه قضية غير إنسانية، وبأنه ذريعة للغرب من أجل بسط نفوذها على العالم الإسلامي[1] ولقد طرحت إشكالية الصراع الحضاري مسائل متعددة أهمها مسألة الأصالة والمعاصرة في الفكر العربي الحديث والمعاصر على أنها مشكل الاختيار بين النموذج الغربي في السياسة والاقتصاد والثقافة، وبين التراث بوصفه نموذجا بديلا وأصيلا يغطي جميع ميادين الحياة المعاصرة«لا ريب في أنه كان للاحتكاك العربي الغربي الأثر الكبير على الفئة العربية المثقفة»[2] فالهوية العربية الإسلامية قائمة على الموروث التقليدي الذي يمثل مركز القوة بالنسبة للحضارة الغربية، ولكن اقتباسنا منها قد يقلب الموازين ويسبب الضياع وفقد الهوية.

ظهرت فكرة الصراع الحضاري بعد انهيار الاتحاد السوفييتي وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم حيث بدأت بعض النظريات الغربية بالصعود إلى السطح والظهور لتفسير كيفية تعامل القطب الأحادي مع العالم في ضوء الواقع الجديد، ومن هذه النظريات ما خرج به الأمريكي الجنسية الياباني الأصل "فوكوياما" بما يسمى ويعرف بنظرية نهاية التاريخ، تلك النظرية التي انتشرت سريعا

[1] ينظر، وهيبة بن عدة:"الصراع الحضاري بين الشرق والغرب في كتابات مالك بن نبي"، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، إشراف شريف بموسى عبد القادر، جامعة تلمسان،2011، ص31.

[2] المرجع نفسه، ص36.

لتتداعى بسرعة أكبر ومفادها تصوير انتصار الرأسمالية على الأرض أنها نهاية التاريخ وأن الإنسان الأمريكي هو من وصل إلى أقصى مستوى حضاري ممكن«يتمثل الزعم بأن الديموقراطية الليبرالية تمثل نهاية التاريخ أي منتهى عطاء الفكر الإنساني»[1] ثم تلا هذا المشهد مشهد آخر في أواخر صيف 1993م وكانت أول شرارة أشعلت المشهد مقالة نشرت في صحيفة الشؤون الخارجية للمفكر الأمريكي الشهير "صمويل هانتنجتون" تحت عنوان«صدام الحضارات» والتي حاول فيها قراءة مستقبل العالم المعاصر وقرر فيها أن الصراع في خلال القرن القادم سيكون صراعا بين الحضارات، وليس صراعا اقتصاديا أو أيدلوجيا«العالم مقبل على حلقة صراع جديدة تصطرع فيها القوى الكبرى المختلفة مسقطة كثيرا من دوافع الصراع القديمة الأيديولوجية، وتعود الحضارة لتصبح المحرك الأعلى للصراع»[2] وقد حدد في نظريته تلك سبع حضارات أساسية يتوقع أن يلتهب بينهم الصراع ولا بد في هذا الصراع من زوال البعض وخضوع البعض الآخر لهيمنة الأقوى وقرر في النهاية أن الحضارات المتوقع لها الاستمرار حتى النهاية لما تحمله من إمكانيات ومقومات للبقاء هي ثلاث حضارات الإسلامية والغربية والكونفوشيوسية (حضارة الصين)[3] وحذر العالم الغربي من تحالف الحضارة الإسلامية مع نظيرتها الكونفوشيوسية في إشارة إلى إمكانية حدوث تحالف نووي بين الصين وبعض الدول الإسلامية.

---

[1] عبد العزيز قاسم:"نهاية التاريخ تحت مجهر الفكر العربي"حوار فوكوياما بمرآة المثقفين العرب، العبيكان، المملكة السعودية د.ط، 2007، ص9.

[2] أحمد شلبي :"صراع الحضارات" في القرن الحادي والعشرين ودور الحضارة الإسلامية في هذا الصراع، مكتبة النهضة، القاهرة، د.ط، ص14.

[3] ينظر، روجيه غارودي:"غارودي يقاضي الصهيونية الإسرائيلية"، ترجمة رانيا بونا ضيف وبيار ريشا، مراجعة هنري زغيب، دار عويدات، بيروت، د.ط، 1999 ص109.

إن نظرية "هانتنجتون" أحادية السبب تمامًا فهو لا يأخذ في الحسبان الآثار التي تركها اقتصاد السوق الحر على الأنظمة السياسية ، وكذلك القوى التي حررت قيودها عمليات التكامل الاقتصادية ولهذا السبب فافتراض أن الصراعات المستقبلية سوف ترتبط بتوزيع الثروة بين الدول يستند إلى قدر أكبر من المصداقية.

كما أثارت هذه النظرية عاصفة من الانتقادات والجدل حول المفاهيم التي تضمنتها وقابل "هانتنجتون" ذلك بالرد أنه على الرغم من إمكانية الاعتراف بوجود ثغرات في نظريته إلا أن المعارضين والرافضين لهذه النظرية لم ينجحوا أن يقدموا بديلا في طرحهم يوازيها في الواقعية والوضوح وبأن نظرية صراع الحضارات وهذا من وجهة نظر "هانتنجتون" بالطبع هي خير وأفضل تصور موضوع للمستقبل في القرن القادم.

ب- الصراع الحضاري عند مالك بن نبي

مما لاشك فيه أن صراع الحضارات تتحكم فيه يد الغرب حاليا، وتسير وقائعه نحو خروج التنافس القائم على فكرة التقدم والرقي بكل وسيلة تكفل لهذا البلد دواعي التفوق، وقد تم التفكير عند الغرب وغيرهم في إقامة منهجية تستهدف احتواء ثقافة الآخر، وفكرة الصراع شغلت بال بن نبي كثيرا يظهر ذلك جليا من خلال كتاباته، حيث قسم الصراع الحضاري إلى أربعة أقسام هي:

-**الصراع الفكري**: يعني به بن نبي النهج المنظم الذي ينفذه الاستعمار لتشويه الوعي عند شعوب المستعمرات، ومنعها من امتلاك الوعي الصحيح الذي يقودها للتخلص من الظاهرة الاستعمارية على أن الاستعمار لن يحد من حريات الشعوب فقط«بل إنه سوف يواصل في الوقت نفسه حربه ضد

الفكرة المجردة بوسائل أكثر مرونة وملائمة، ويستعين من أجل ذلك بخريطة نفسية العالم الإسلامي»[1] حيث يقوم رجال متخصصون برصد الأفكار في العالم الإسلامي.

– **الصراع الثقافي**: إن الفكر في البلاد الإسلامية التي تحررت من الوصاية الاستعمارية لم تكتمل بعد شخصيته ولم يظفر بعد بحقه في السيطرة على وجوه الحياة، حيث نجد أن «المثقف من أبناء الدول المتخلفة لا يزال يقتصر على ما يسهل أخذه سواء أكان هذا ماديا أو معنويا ينتج عنه تكديس في الأشياء والأفكار، يدمر التقدم ويحطم كل أركان التحضر»[2] ولقد سمى بن نبي هذا اللون من الصراع بالقابلية للاستعمار.

– **الصراع الديني**: لم يقف الإسلام حجر عثرة أمام عجلة العلم، كما يدعي بعض المستشرقين وأشياعهم من المستغربين بل لعب الإسلام دورا فعالا في دحرجة تلك العجلة، حيث خلق الإسلام مناخا للبحث العلمي، وشجع على فسح مجال العلم الذي يخدم الإنسانية، لكن أصحاب القلوب المريضة شوهوا سمعة الإسلام واعتبروه«قضية ميتافيزيقية تخص الفلسفة، كما يعد الدين ظاهرة اجتماعية ويعالجه كما يعالج أي ظاهرة من ظواهر المجتمع ومؤسساته...غير آبه لما ينجم عن ذلك من انهيار العقيدة ودمار القيم وضعف سلطات الوازع الديني على النفوس»[3] أي أن الدين عند الغرب ليس سوى ظاهرة اجتماعية يمكن إخضاعها لمستجدات العصر.

---

[1] وهيبة بن عدة:"الصراع الحضاري بين الشرق والغرب في كتابات مالك بن نبي" إشراف شريف بموسى عبد القادر، ص55.

[2] عكاشة شايف:"الصراع الحضاري في العالم الإسلامي"، ديوان المطبوعات، الجزائر،د.ط، د.س، ص51.

[3] وهيبة بن عدة:"الصراع الحضاري بين الشرق والغرب في كتابات مالك بن نبي" إشراف شريف بموسى عبد القادر، ص72.

– **الصراع الاجتماعي:** منذ القرن الماضي بدأ عصر ما بعد الموحدين يُزايل العالم الإسلامي لكن هذا العالم لم يستعد بعد إطاره الطبيعي، لقد انطلق كفارس أفلت من الركاب من قدميه ولم يوفق بعد لإحكامه فهو يبحث عن توازنه الجديد[1]، والمجتمع الإسلامي هو بالتحديد في مواجهة المشكلة في وجهيها إنه يعاني من انتقام النماذج المثالية لعالمه الثقافي الخاص به من ناحية ومن ناحية أخرى لانتقام رهيب تصبه الأفكار التي استعارها من أوربا، وهذا بحكم أنه«ليس معزولا بل إن تطوره مشروط ببعض الصلات الضرورية مع بقية المجموعة الإنسانية»[2]وإن انتقام هذه الأفكار هو ما نعاني نتاجه اليوم.

3-الحوار الحضاري عند رجاء غارودي:

قبل ما يقارب من عقدين من الزمان والعالم ما زال في ذلك الوقت يتعامل بواقع ثنائي القطب إلى حد ما خرج المفكر الفرنسي روجيه غارودي على العالم أجمع بنظريته ومشروعه للجمع بين الحضارات المختلفة على أساس أرضية مشتركة للتفاهم على مستوى شعوب الأرض وسماه بـ«حوار الحضارات»والحوار بين الحضارات وحده يمكن أن يولد مشروع كوني يتسق مع اختراع المستقبل[3]ولكن مشروعه كان يتسم بسمة أساسية ألا وهي النقد الشديد للهيمنة الغربية والسيطرة الأمريكية حتى أنه بشر في ثنايا نظريته بزوال الغرب عموما«إنها حضارة مؤهلة للانتحار»[4]لكن هذه الصيحة وأخواتها من جانب غارودي أو غيره من المفكرين والساسة الذين سعوا إلى وضع نظرية أو قاعدة تحكم وتفسر واقع المجتمع

[1] ينظر، مالك بن نبي :"مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي"،ترجمة أحمد شعبو وتقديم عمر مسقاوي، ص161.

[2] مالك بن نبي :"وجهة العالم الإسلامي"، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص25.

[3] ينظر، روجيه غارودي:" في سبيل حوار الحضارات"، ترجمة عادل العوا، ص10.

[4] أبو المجد أحمد:"رجاء غارودي"رحلة فكر وحياة، ص94.

العالمي لم تجد الصدى اللائق بها في ذلك الوقت لواقع الصراع القائم والمسمي بالحرب الباردة بين قطبي العالم آنذاك.

إلا أن أطروحة حوار الحضارات لم تخل من جدل شديد ونقد دائم مستمر حتى من جانب المفكرين المسلمين، ولم يقف الجميع فيه على نسق واحد فمنهم رافض للفكرة من أساسها لعدم واقعيتها، فكيف ستتحاور مع من يهدم بيتك ويشرد أهلك في أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي إلى فريق آخر مؤيد للفكرة على الإطلاق وداع لها بغض النظر عن الواقع الحالي.

وهذه الدعوة في أطروحة غارودي مرت بثلاثة أطوار زمنية وفكرية جسدت شخصية غارودي الفكرية في انتقالاته وعبوره بين الأيديولوجيات والأديان، وكشفت عن طبيعته الجدلية والإشكالية، وذهنيته الحائرة والقلقة بحثاً عن الأمل الذي ظل يفتش عنه في الثقافات والحضارات الإنسانية وهذه الأطوار هي:

– **الطور الأول**:الدعوة للحوار بين الماركسية والمسيحية، وذلك حينما كان غارودي منضما في الحزب الشيوعي الفرنسي، وكان يصف نفسه آنذاك بالمحرك الرئيسي لهذه الدعوة في فرنسا وأوروبا طيلة اثنتي عشرة سنة، وكانت الغاية من هذه الدعوة حسب رؤية غارودي هي بناء العلاقة بين التحرر والإيمان، التحرر الذي تمثله الماركسية والإيمان الذي تمثله المسيحية حيث تلمس غارودي للشيوعية مخرجا من مأزقها المادي الجدلي في محاولة للتوفيق بينها وبين المسيحية، لكن هذه المحاولات جميعا باءت بالفشل

على صعيد الحوار المسيحي الشيوعي، وهو الأمر الذي أدى بغارودي إلى مواصلة رحلته الفكرية [1] باحثا عن الحقيقة الشافية والتي لم يجدها سوى في الإسلام.

– **الطور الثاني**:في سنة 1968م تكوّنت عند غارودي رؤية لفت بها نظر المجتمع المارسكي للكنائس في جنيف، حيث اعتبر أن الحوار بين الماركسيين والمسيحيين سوف يظل إقليمياً حسب تعبيره، ولن يتقدم إلا في نطاق منطقة ثقافية واحدة وهي منطقة الغرب، وإنه من الأهمية في نظره التحول نحو إدارة هذا الحوار على مستوى الحضارات«إن أحد شروط النجاح الرئيسية لهذه العلاقات الإنسانية هو أن يعرف كل واحد كيف يعترف بالآخر ويفهمه، وأن يميز في الوقت نفسه في الآخر ما هو في حالة الولادة، وما يتغير وما هو جديد» [2] وكانت الغاية من هذا الحوار في نظر غارودي هي بناء العلاقة بين الإيمان والتاريخ، الإيمان والعالم، الإيمان الذي يعطي الشعوب القوة والأمل في تغيير العالم والحياة.

– **الطور الثالث**: التأكيد والتركيز على الحوار بين الغرب والإسلام، وهي الدعوة التي ظهرت واضحة ومتجلية في الكتاب الذي أصدره غارودي سنة 1981م بعنوان «وعود الإسلام» وفي كتابه أيضاً «الإسلام في الغرب: قرطبة عاصمة الروح والفكر» فقد اعتبر أن العقبة الرئيسية التي تقف في وجه حوار الحضارات هي النظرة التي حملها الغرب منذ مئات السنين عن الإسلام وإن النظرة للإسلام في رؤية غارودي إنما تتعلق بمستقبلنا« الإسلام أنقذ العالم من الانحطاط العام والفوضى، والقرآن الكريم أعاد إلى

[1] ينظر، أمينة الصاوي:"رجاء غارودي وحضارة الإسلام"، ص98.

[2] المرجع نفسه، ص93.

ملايين البشر وعي بعدهم الإنساني وروحا جماعية جديدة»[1] فالإسلام قوة حية ليس كامناً فقط في ماضيه، وإنما في كل ما يمكن أن يقدمه لصنع المستقبل.

ولقد أولى غارودي أهمية للدفاع عن الإسلام والتعرف عليه واكتشاف جمالياته وتركيز النقد على الغرب في رؤيته وأنماط تعامله مع الإسلام الذي كان باستطاعته ولا يزال في نظر غارودي ليس الإصلاح بينه وبين حِكَمِ العالم فحسب بل مساعدته بالتعرف على الأبعاد الإنسانية والإلهية التي انفصل عنها عندما نمّى أحادياً الإرادة للسيطرة على الطبيعة والناس«إن ما اصطلح الباحثون على تسميته باسم الغرب إنما ولد في مابين النهرين وفي مصر أي في آسية وإفريقية»[2] التراث الإسلامي الذي يصفه غارودي بالتراث الثالث المكوّن للتراث الغربي، والذي رفضه الغرب كما يقول غارودي منذ ثلاثة عشر قرناً.

وما يعزز هذه القناعة عند غارودي رؤيته بأن الإسلام لم يكمل ويخصب وينشر أقدم وأرفع الحضارات فحسب كحضارة الصين والهند وفارس واليونان والإسكندرية وبيزنطة، بل حمل إلى إمبراطوريات مفككة وحضارات ميتة روح حياة جماعية جديدة، وأعاد إلى الناس ومجتمعاتهم أبعادهم الإنسانية والإلهية من تسام وتوحد، كما أعاد خميرة تجديد العلوم والفنون والحكمة التنبؤية والقوانين.

ومع أن غارودي كان ينطلق من مقولة حوار الحضارات في توجيه النقد التاريخي والفلسفي والاجتماعي للغرب، إلا أنه كان متوجهاً إلى الغرب في خطابه وليس للحضارات الأخرى، وأن الغرب هو المعني بهذه الدعوة لحوار الحضارات بقصد تصحيح مساراته بعد أن وصل إلى مأزق حضاري خطير «إن الحوار سيكون عبثا لا طائل منه، بل سيَمُنُّ بالإخفاق إذا ظلت عقيدة أحد أطرافه غير مصقولة

---

[1] روجيه غارودي :" لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة"، ترجمة:محمد عثمان الخشن، ص88.

[2] روجيه غارودي:" في سبيل حوار الحضارات"،ترجمة عادل العوا، ص17.

من صدأ قرون السيطرة والاضطهاد»[1] واكتشف غارودي بفكره النقدي ومعرفته الواسعة، وانفتاحه على الثقافات غير الأوروبية، وجود أزمة حضارية عميقة في الغرب والحضارة الغربية، ولا سبيل لتجاوز هذه الأزمة وتداركها في نظره إلا بالانفتاح على الحضارات الأخرى غير الأوروبية، والتحاور معها والتعلم منها لاكتشاف ما يسميه بالفرص المفقودة، والأبعاد الإنسانية والأخلاقية المطلوبة[2] التي نمت في الحضارات والثقافات غير الأوروبية.

وهذه الأزمة التي يعيشها الغرب في الربع الأخير من القرن العشرين إنما ترجع في جذورها حسب رأي غارودي إلى عصر النهضة الذي ولدت معه الرأسمالية والاستعمار معاً«إن عصر النهضة، وهو ليس حركة ثقافية وحسب بل ولادة مواكبة أنجبت الرأسمالية والاستعمار، قد هدم حضارات أسمى من حضارات الغرب باعتبار علاقات الإنسان فيها بالطبيعة وبالمجتمع وبالإلهي بدل أن يكون ذروة النزعة الإنسانية»[3] وما صاحبه من تنكر وهدم لجميع الثقافات غير الأوروبية فقد اتبعت الحضارة الغربية في نموها وتقدمها من القرن السادس عشر وحتى نهاية القرن العشرين طريقة أوصلتها كما يعتقد غارودي إلى أزمة داخلية عميقة حدودها في ثلاثة أبعاد رئيسية شرحها في كتابه«حوار الحضارات» وهي:

-رجحان جانب الفعل والعمل، بالشكل الذي يتحول فيه الإنسان إلى مجرد آلة للإنتاج والاستهلاك، ويفقد جوهره المعنوي والأخلاقي.

---

[1] روجيه غارودي :" لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة"، ترجمة:محمد عثمان الخشن، ص86.

[2] ينظر، روجيه غارودي:" في سبيل حوار الحضارات"، ترجمة عادل العوا، ص81.

[3] المصدر نفسه، ص9.

-رجحان جانب العقل، واعتباره قادراً على حل جميع المشكلات، بحيث لا توجد مشكلات حقيقية إلا تلك التي يستطيع العلم حلها، والنتيجة بعد ذلك هي عدم القدرة على تحديد الغايات الحقيقية والسيطرة على الوسائل.

-رجحان جانب الكم، وجعله معياراً ومقياساً لا نهائياً، بحيث يصبح النمو باعتباره نمواً كمياً صرفاً في الإنتاج والاستهلاك، حيث يرى غارودي أن حضارة تقوم على هذه الأبعاد الثلاثة إنها حضارة مؤهلة للانتحار[1] وعلى ضوء هذا التحليل لأزمة الثقافة والحضارة الغربية بلور غارودي نظريته لحوار الحضارات ناظراً بها إلى الغرب بوصفها طريقاً لإنقاذه وتصحيح مساراته، وتشكلت هذه النظرية على أساس المرتكزات التالية:

- الاهتمام بالحضارات غير الغربية في مجال الدراسات وجعلها بمنزلة تعادل في أهميتها الثقافة الغربية.

- ضرورة أن يشغل مبحث الجمال منزلة يعادل في أهميته تعليم العلوم والتقنيات.

- جعل الاهتمام بالمستقبل يعادل في أهميته من حيث التفكير والغايات والأهداف أهمية التاريخ وعلم التاريخ[2] هذه النظرية التي كونها غارودي لحوار الحضارات أراد بها أن يخاطب الغرب بصورة أساسية لذلك فهي تنتمي وتصنف على النظريات الغربية التي تنطلق من نقد التجربة الغربية والحضارة الغربية، ويعبر غارودي عن ذلك بقوله أن حوار الحضارات أصبح ضرورة عاجلة لا سبيل لردها إنه قضية بقاء لقد بلغنا حد الخطر بل لعلنا تجاوزناه، إن مهمتنا بعد الفرص التاريخية الضائعة وضياع أبعاد الرجل الغربي هي استئناف حوار حضارات الشرق والغرب من أجل وضع حد لحوار الذات الغربي الانتحاري... إدراك

[1] ينظر، روجيه غارودي "لماذا أسلمت؟"نصف قرن من البحث عن الحقيقة، محمد عثمان الخشن، ص58.

[2] ينظر، المصدر نفسه، ص64.

هذا النقص وإدراك ما ندين به للثقافات والحضارات غير الغربية هو اليوم على ما نظن السبيل الوحيد الذي بقى مفتوحاً أمامنا خارج مأزق الموت[1] وكون هذه النظرية تنتمي وتصنف على النظريات الغربية، لا يعني ذلك بالضرورة نقداً لها أو رفضاً أو إسقاطاً، وإنما القصد هو تحديد طبيعة الفضاء المعرفي والمرجعي لهذه النظرية، وفهم غاياتها ومقاصدها، وكيفية التعامل معها.

وبالتالي لا يمكن الرجوع إلى هذه النظرية إلا في إطار التثاقف والتواصل الفكري والمعرفي وليس الاعتماد عليها بوصفها نظرية كونية عامة أو باعتبارها قابلة للتعميم على المستوى الإنساني مع أنها قد تعد من أنضج النظريات في مجالها، وأكثرها دعوة للانفتاح والتواصل مع الثقافات والحضارات الأخرى غير الأوروبية.

ولعله إلى اليوم لم تتبلور نظرية أخرى لحوار الحضارات في مستوى نظرية غارودي وتماسكها وخبرتها ودرجة انفتاحها، كما نظر لها وشرحها في كتابه الشهير(حوار الحضارات) وتمثلها في تجربته الفكرية وفي الأطوار والانتقالات التي مر بها من المسيحية إلى الماركسية، ومن ثم إلى الإسلام فلم يكن غارودي مجرد داعية لحوار الحضارات بل كان مثالاً تطبيقياً لهذه الدعوة في تجربته الفكرية.

هذا هو المأخذ الرئيسي على رؤية غارودي لحوار الحضارات لكونها تستجيب بصورة أساسية لحاجات الغرب ومشكلاته باعتبارها ناظرة إليه، ولا تلبي من جهة أخرى حاجات الحضارات غير الأوروبية.

[1] ينظر، روجيه غارودي:" وعود الإسلام"، ترجمة ذوقان قرقوط، ص8، 9.

أما قيمتها الرئيسية فهي في النقد الذي وجهه غارودي للغرب، وأراد منه أن يدفعه لمراجعة ذاته وتراثه وتاريخه، وأن يغير من نظرته إلى العالم ويدخل في مصالحة مع الحضارات غير الغربية والاستفادة والتعلم منها، واكتشاف مستقبله المشترك مع بقية العالم، وليس مستقبله الذي لا يرى فيه إلا ذاته[1] وقيمة هذا النقد أنه يأتي من مفكر غربي واسع الثقافة والمعرفة ومنفتح على الثقافات والحضارات غير الأوروبية وقد تمثل حوار الحضارات في تجربته الفكرية بتحولاته وتقلباته وانتقالاته.

وكان بالإمكان لأفكار غارودي أن تكون لها فاعلية وشأن لو انفتح الغرب عليها، وقبل الإصغاء إليها وتفهمها، مع ذلك فقد بقيت أطروحة غارودي مجرد دعوة لم تتحول إلى تيار فعال ومؤثر في الغرب والثقافة الغربية حتى مع محاولته لإنشاء معهد دولي لحوار الحضارات سنة 1976م وسعيه بعد ذلك لإحياء مشروع قرطبة كمركز إشعاعي حضاري جديد في الغرب[2] إلا أن هذه الأفكار بقيت مجرد طموحات وآمال غاية في النبل.

تراجعت الدعوة إلى حوار الحضارات مع دخول العالم حقبة ثمانينيات القرن العشرين وظهرت ما سميت في الخطاب الغربي والإعلام الغربي بالأصوليات، وارتفعت درجة الاحتكاك والتوتر بين العالمين الإسلامي والغربي، وفي هذا السياق نشر غارودي كتابه «الأصوليات المعاصرة أسبابها ومظاهرها» حيث اعتبر فيه أن الأصوليات كل الأصوليات تشكل الخطر الأكبر على عصرنا وعلى المستقبل.

---

[1] ينظر، حمدي شفيق: "الإسلام والآخر الحوار هو الحل"، رئيس تحرير جريدة النور الإسلامية المصرية، ص33.

[2] ينظر، روجيه غارودي: " لماذا أسلمت؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة"، ترجمة محمد عثمان الخشن، ص57.

وحتى في هذا الكتاب لم يغفل غارودي عن توجيه النقد للغرب بتحميله مسؤولية انبعاث هذه الأصوليات بكل أشكالها في العالم الثالث نتيجة إصراره على فرض نموذجه الإنمائي والثقافي واعتبر الأصولية الغربية هي العلة الأولى التي ولدت كل الأصوليات الأخرى رداً على أصولية الغرب وتحدياً لها.

ب- مالك بن نبي والتدافع الثقافي

تضيء دراسات بن نبي لجهود التنمية الاجتماعية والاقتصادية في العالم المتخلف زاوية الفعالية حين تتناول الإنسان في إطار ثقافة تستجيب لمعطياته وأصالته.

ولقد ذكر بن نبي في محاضرته التي ألقاها بمدينة حلب يوم التاسع والعشرون من شهر ديسمبر سنة 1960م فكرة التضامن الإفريقي الآسيوي[1] الذي يعتبره تعبيرا عن واقع إنساني وهو واقع الشعوب الإفريقية الآسيوية اليوم، ففكرة التضامن الإفريقي الآسيوي ظهرت في حلبة السياسية الدولية منذ مؤتمر باندونج الذي كشف الرأي العالمي عن وجود قوى جديدة دخلت التاريخ لتغير مجراه«إن أمهات القضايا التي يواجهها العالم الإسلامي اليوم هي صناعة التاريخ لكن عثراته فيها سواء في حياته الداخلية، أو في الحياة الدولية بوجه خاص هي من صنع نفسه»[2] وكان من أسباب انعقاده:

-الأسباب التي تتصل مباشرة بواقع الشعوب الإفريقية الآسيوية ذاتها.

-الأسباب التي تتصل بالحالة العامة في العالم بعد الحرب العالمية الثانية.ومن غاياته نجد:

-الغايات التي تتصل بمصير الشعوب الإفريقية الآسيوية كما تحدد هي لنفسها بإدارة واضحة صادرة عن واقعها مباشرة أي عن ظروف حياتها اليومية.

---

[1] مالك بن نبي:"تأملات"، ص99.

[2] مالك بن نبي:"بين الرشاد والتيه" ص197.

-الغايات التي تتصل بمصير العالم وبتوقعات التاريخ بصورة عامة أي بالتوقعات التي لا تدخل في نطاق الإدارة المباشرة.

ولقد اعتبر بن نبي التضامن الإفريقي الآسيوي لحظة معينة من الحوار التاريخي اللحظة التي تغير مجرى هذا الحوار وتوجهه في اتجاه جديد بين شعوب تواجه مشكلات البناء والبقاء، ودول تقدس القوة وتراها الحل الوحيد لجميع المشكلات القائمة في العالم[1] فالضمير الإنساني الذي لم يألف العمل على حدود الثقافات مازال تسيطر عليه عادات مزمنة تحمله على أن يرى الأشياء من زاوية ضيقة، ويرى بن نبي إمكانية تركيب ثقافتين هما: الثقافة الإسلامية والثقافة الهندية من أجل تحديد عمل ثقافي على مستوى إفريقي أسيوي، وكل ما يرجى من الثقافات التي مثلت في باندوج هو أن تتعايش وأن تعمل متعاونة على طول المحور من طنجة إلى جاكرتا، والثقافة الأفرسيوية ملزمة بسبب مأساة القرن العشرين بأن تتجه أولا نحو الأخلاق وفلسفتها لتحديد مثلها الأعلى ثم نحو الصناعة لخلق وسائلها إلى هذا المثل الأعلى فإنقاذ الإنسان من البؤس والفاقة على محور طنجة-جاكرتا، وإنقاذه من حتمية الحروب على محور واشنطن-موسكو وليحدد بقائه ومشكلة اتجاهه، وهذه الضرورة المزدوجة تسيطر بصورة طبيعية على تحديد ثقافته، وبالتالي تسيطر على تحديد منهجه الأخلاقي[2] ولقد أعطى بن نبي مثالا عن بلاد نهرو التي احتفظت بوحدتها بحيث لا يفصل بين صورة البلاد التقليدية وصورتها العصرية فأصل أكيد ويرجع ذلك بحسب بن نبي إلى«الإطار الأخلاقي الذي تكونت فيه الهند العصرية، والأوضاع النفسية الخاصة بشخصية ممتازة غاندي الذي تقمص شخصية الهند المعاصرة وأضفى عليها، مما وهب له من صفات

[1] ينظر، مالك بن نبي:"تأملات"، ص 102، 116.

[2] ينظر، مالك بن نبي:"مشكلة الثقافة"، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص107، 108.

خاصة ووجهها بما أوتي من اتجاه روحي بحيث طبع بطابعه الشخصي رسالتها في العالم»[1] كما بين بن نبي أنه يوجد مشاكل اقتصادية بين البلدان لا يمكن حلها إلا على مستوى عالمي«إن كل وطن مسلم أو غير مسلم يستطيع حل مشكلاته داخل حدوده مثلا كل ما يتعلق بالعدل والإدارة والأمن، كما يستطيع حل مشكلات أخرى في نطاق تنظيم جهوي مثلا إنتاج وتسويق البترول بالنسبة للدول العربية لم يتم اتفاقها بهذا الصدد، ثم إن هناك مشكلات لا تحل إلا على مستوى عالمي مثل قضية السلم وتنسيق البريد، الخ»[2] فالعالم الإسلامي اليوم أصبح يساير متطلبات العالم الغربي من تكنولوجيا واختراعات الكترونية...فلابد من وجود تواصل بين العالمين.

ب- التحليل المقترح من أجل النجاح الحوار الحضاري:

لقد تحوّل العالم إلى قرية كونية واحدة وأي حدث في أي مكان في العالم فانه يزحف إليك ليترك تأثيره عليك وأنت في قريتك سواء من الناحية الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية... من هنا علينا أن ننطلق لنتفاعل مع الحضارات الأخرى في ما لا يتنافى مع الخطوط العريضة لحضارتنا وأن نترك الآخرين يتفاعلون معنا، ولقد ظهر جليا بالنسبة للفاعلين السياسيين و المثقفيين في العالم الإسلامي أن هذا العالم مع أن له قضايا تتعلق بحقوقه السياسية و الاقتصادية نتيجة مباشرة ما خلفته الوضعية التي تم رسمها عشية انتصار الحلفاء في الأربعينيات.

مع كل ذلك فقد بدأ السياسيون و المثقفون يعوون أنهم لم يقوموا بما كان يلزمهم القيام به من التواصل المباشر مع العالم الغربي لأجل شرح قضاياهم المصيرية له حيث يرى بن نبي أنه يوجد فرق بين

[1] مالك بن نبي :"في مهب المعركة" ص144.

[2] مالك بن نبي :"المسلم في عالم الاقتصاد"، دار الفكر دمشق، ط3، 1987، ص 100.

السياسة والبولتيك، فالسياسة هي استنباط القيم ومحاولة تأمل في الصورة المثلى لخدمة الشعب، وهي العمل الذي تقوم به كل جماعة منظمة في صورة دولة أي هي العمل المنظم لجماعة بكل ما تقتضيه وتفرضه كلمتا تنظيم وجماعة[1] أما البولتيك فهي تلك«السياسة الخرقاء التي تخفي العناصر الحقيقة للمشكلة عن ضمير المسلم فهو يتكلم حيث يلزمه أن يعمل، وهو يعلن الاستعمار حيث يجب عليه أن يعلن القابلية للاستعمار، وهو مع هذا لا يبذل أقل جهد في سبيل تغيير وضعه تغييرا علميا»[2] كما لاحظ بن نبي أهمية هذا التواصل من خلال تحقيق بعض التقدم في بعض القضايا السياسية و الاقتصادية حيث يرى أن العمل السياسي يقتضي في مستوى الدولة على الأقل ثلاثة شروط هي«**أولا**: تصور العمل أي تحديد السياسة بأكثر ما يمكن من الوضوح.

ثانيا: تصور وسائل تحصين هذا العمل من الإحباط حتى لا يبقى حبرا على ورق في نص الدستور أو ميثاق أو مجرد لائحة.

ثالثا: تصور جهاز يحفظ المواطن من إجحاف العمل إذا تعدى عن جهل أو سوء نية منيقوم بتنفيذه»[3] ويلاحظ الجميع أن العالم الغربي من جهته و لأسباب متفاوتة قد بدأ يهتم بالحضارة العربية والثقافة العربية، ومن تلك الأسباب النفط«أصبح النفط مصدرا حيويا للطاقة خلال الحرب العالمية الأولى، وقد أدت أهميته الكبرى بالنسبة إلى المجالات الحربية والمناعية إلى ازدياد التنافس بين الدول الكبرى وتشجيعها رعاياها على ارتياد إمارة الأرضية بحثا عن الأماكن التي تحتوي على مخزون نفطي

[1] ينظر، مالك بن نبي:" بين الرشاد والتيه"، ص100.

[2] مالك بن نبي :"وجهة العالم الإسلامي"، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص101.

[3] مالك بن نبي:" بين الرشاد والتيه"، ص101.

كبير»[1] فوجود النفط في هذه البقعة من العالم هو عصب التطور المستدام للدول الصناعية المتطورة لهذا يتم التسابق للسيطرة عليه أو للتفاهم على طريقة تقاسمه و الاستفادة منه،كما يقول غارودي«إن النقطة الحساسة في حدود الإمبراطورية الأمريكية وهي ما كانت تسمى في زمن الإمبراطورية الرومانية قبل أن يمحوها البرابرة لعتبات الإمبراطورية هي الخليج العربي لأنه محاط بأحواض البترول الأغزر في العالم وسيبقى لعشرات السنين عصب التنمية الغربية»[2] ولذلك يبدو أن موضوع الحوار لدى العالم الغربي على هذا المستوى لا علاقة مباشرة بالضرورة الحضارية فهو موضوع اقتصادي سياسي بحت، لكن السياسة والاقتصاد كانا وما زالا يعملان بالتوازي كأسباب لسيطرة وفوز الحضارات، إذ يقول بن نبي«والحق أن الاقتصاد في الغرب قد صار منذ قرون خلت ركيزة أساسية للحياة الاجتماعية وقانونا جوهريا لتنظيمها»[3] فالاقتصاد هو عصب الدول المتقدمة وديمومة استمرارها.

كما يبدو موضوع الهجرة إلى الدول المتقدمة كانت هجرة من العالم الإسلامي أساسا فقد كانت تلك الهجرة ذات خصائص متقاربة يغلب عليها الطابع الشعبيّ العام، وقد كان البحث عن موارد الرزق وعن الحريات أكبر دافع لهذه الهجرات الأولى التي نتج عنها ظهور تجمعات إسلامية لها طابعها الخاص داخل تلك البلدان فنشأت عنها مشكلات متنوعة ناتجة عن محاولة التوافق والانسجام بين ثقافتهم وهويتهم، وبين المحيط الاجتماعي والبيئة الثقافية المنفتحة والمناخ الفكريّ العام الذي وجدوا أنفسهم

[1] أحمد عبد الرحيم مصطفى:" الولايات المتحدة والمشرق العربي"، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1978، ص11.

[2] روجيه غارودي:" الولايات المتحدة طليعة الانحطاط"، ترجمة مروان حموي، ص8.

[3] مالك بن نبي:" المسلم في عالم الاقتصاد"، ص16.

يعيشون في خضمه داخل هذه الدول العاملة والمنتجة، والتي تحاول بطريقة ما تفعيل الثقافات الأخرى والاستفادة من وجودها دون الدخول باشتباكات وضغوطات داخل مجتمعاتها.

وقد ارتفع هذا السبب الثاني بضرورات الحوار من مجرد الضرورة الاقتصادية المصلحية المباشرة إلى المستوى الثقافي إذ يقول غارودي هنا«من واجبنا أن ننبه الغربيين كيف يستطيع الإسلام أن يعطي تصورا جديدا أو نموذجا جيدا لحل المشكلات الاقتصادية ليس عن النمط الأمريكي ولا على النمط السوفيتي، أما عن الأزمة الثقافية وماذا نستطيع أن تقدم للعالم من حلها يخرجهم من حيرتهم والقلق الذي يلزمهم والذي يعنيني وتهمني معرفته هو أي نمط أو صيغة أو نموذج يمكننا أن نتقدم به للمجتمعات الغربية كعلاج لمشكلاتهم الكثيرة»[1] ولذلك فإنه بإمكاننا أن نعلن اليوم أننا أمام أكثر اللحظات تهيؤا للحوار الحضاري الحقيقي مستثنين في ذلك الإدارة الأمريكية للمحافظين الجدد الذين يظهر أنهم لم يستوعبوا الدرس بعد بالرغم من محاولاتها تدشين حوارات هنا و هنا لا يكون الهدف من ورائها إلا دعم الخيارات العسكرية بتكثيف أكبر قدر ممكن من المعلومات الاستخباراتية، ويتأكد ذلك حينما نشهد أنها لا تزال تكثف جهودها بحثاً عن الطاقة النفطية وفتحاً لأسواق جديدة.

ومهما يكن فإن العالم الغربي الأوربي يبدو أكثر استعدادا لهذا الحوار الحضاري اليوم و لا يبقى إلا تحديد شروط نجاحه حتى يؤدي إلى تحقيق التقارب بين الحضارات، والتفاهم بين الشعوب على أرضية الاحترام المتبادل للخصوصيات و الحقوق المشروعة.

[1] عدنان سعد الدين:"حوار مع الأستاذ رجاء غارودي"، ص17.

إن هذه الأسباب أدت للاهتمام بالحضارة العربية وتحديدا الإسلامية في محاولات لوضع خطوط أساسية للتفاهم والتعايش إذ يقول غارودي عن هذا التعايش«يجب أن يكون للمرء ثقافته القومية لكي ينفتح على حضارة ذات نسق شامل ويجب قبل كل شيء أن يكون له منزلا يستطيع استقبال الآخرين»[1] لكن هذا التعايش والتبادل الحضاري لن يتم إلا إذا حاولت الدول الأقوى والأكثر تطوراً التنازل عن إخضاع الآخرين لشروطها وقيمها العامة الناتجة عن مصالح اقتصادية وسياسية واعترفت بوجود التعددية الثقافية الحضارية لكافة الدول وقامت الدول الإسلامية بمحاولة التجديد والاجتهاد لتبني الفكر الذي يدعم التطور والنهوض من عصور الظلام والاستفادة من كل ما هو جديد وملائم في محاولة البناء والاعتراف بهذا التنوع الثقافي الذي يساهم بتقوية الاحترام المتبادل الذي قد يعتمد عليه مستقبل البشرية، والتخلي من قبل كل الأطراف عن رواسب التمييز العرقي أو التعصب المذهبي وعدم إنكار الخصائص الثقافية أو الحضارية لأي شعب من الشعوب.

هنا يمكن القول كما يرى رجاء غارودي أن حوار الحضارات لن يتم إلا في حال إدراك أن الحوار في خطاه الأولى ليس بين ثقافات ولكن بين جماعات ومجتمعات، وإن موضوعه بالتالي ليس هويتي وهويتك وقيمي وقيم الآخر، ولكن مشكلاتنا المشتركة إنسانياً وثقافياً وسياسياً واقتصادياً... وإن هدف الحوار ليس الوصول إلى قمع وإلغاء الاختلافات الثقافية والحضارية ولا إيجاد تسوية بين القيم المختلفة التي تميزها، ولكن العمل فيما وراء الثقافات الخصوصية لإيجاد قاسم مشترك إنساني أعظم من القيم الخاصة المغلقة، وإيجاد فرص أكبر لتنويع المرجعيات حتى نستطيع الوصول للانفتاح على الآخر فهو

[1] روجيه غارودي:"وعود الإسلام"، ترجمة ذوقان قرقوط، ص12.

الذي يؤسس لبناء حضارات مكتملة بإجماع إنساني«إذا ما تعالينا عن مظاهر الاختلاف بين المعتقدات والثقافات فسنجدها جميعا واحدة لأن الإنسانية في جوهرها واحدة وان تنوعت وتعددت ثقافاتها»[1] فالإنسان هو الغاية الأسمى وهو أعظم المخلوقات، وكل شيء وجد لخدمة الإنسان من حضارة وثقافة ودين وسياسة...

حتى لا يبقى موضوع حوار الحضارات مجرد شعارا بات من الضروري الانتقال من مرحلة مدارسة الموضوع على مستوى الملتقيات والمناظرات الدولية على أهميتها إلى مستوى اتخاذ إجراءات سياسية عملية وفق أجندة محددة، و يمكننا تقسيم الآليات السياسية المقترحة إلى آليات سياسية أساسية و أخرى تكميلية.

-**على المستوى الأممي**: تمكين العالم الإسلامي من التمثيلية ضمن الدول الدائمة العضوية بمجلس الأمن، حيث تأسست هيأة الأمم المتحدة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية و انتصار الحلفاء على دول المحور وكان الهدف المعلن من تأسيس عصبة الأمم ثم هيئة الأمم المتحدة كما أعلن عن ذلك ميثاقها هو نشر مبادئ السلم و العدل و الحرية في العالم حيث جاء في مشروع الإعلان الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 375 (4) لعام 1949م بشأن حقوق الدول وواجباتها، وهو يتألف من 14 مادة تتضمن أربعة حقوق وعشرة واجبات هي«فحقوق الدول التي نص عليها هذا المشروع هي: الاستقلال السيادة، المساواة في القانون والدفاع المشروع عن النفس أما واجباتها فهي: عدم التدخل، عدم إثارة الحروب الأهلية واحترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية، وعدم تهديد السلم، وتسوية المنازعات

[1] مايكل كاريذس:"لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة؟"، ترجمة شوقي جلال، عالم المعرفة الكويت، د.ط، 1998، ص13.

الدولية بالطرق السلمية، وعدم اللجوء إلى الحرب، وعدم مساعدة الدول المعتدية، وعدم الاعتراف بالاحتلال الحربي... وغير ذلك»[1] ولتكون الهيأة منبرا لكل الدول من أجل التعبير عن آراءها وقناة للحوار بين الأمم لطرد شبح الحروب ليعيش العالم في أمن و سلام.

في تلك الفترة كانت أغلب دول العالم الإسلامي ترن تحت الاحتلال الأجنبي واستعملت موارد تلك الدول بما فيها الموارد البشرية لمحاربة دول المحور الدول المنتصرة و حتى تضمن مصالحها ضمن الهيأة التي أشرفت على تأسيسها ابتدعت فكرة "العضوية الدائمة" داخل مجلس الأمن و هي العضوية التي تعطيها حق نقض القرارات"الفيتو".

العالم الإسلامي وجد نفسه بعد حصول دوله على الاستقلال أمام منتظم دولي مهيكل على مقاس الدول الكبرى، لقد تغيرت الظروف الدولية اليوم مما حدا بالدول المنهزمة في الحرب ألمانيا و اليابان بالحديث عن حقها في المطالبة بالعضوية الدائمة نظرا لقوتها الاقتصادية والمالية والجيوسياسية، في هذا الإطار ألم يحن الوقت أن تتمتع بعض الدول الإسلامية مثل تركيا أو مصر بالعضوية الدائمة بمجلس الأمن أو أن تجد الهيأة الأممية صيغة لتمثيل هذا العالم الذي يضم ربع سكان العالم.

-على المستوى الجيوسياسي: دعم وتشجيع الاتحادات الإقليمية والجهوية داخل العالم العربي والإسلامي«سيكون على مجتمع ما بعد الموحدين إذن أن يخفف من نزوعه إلى المطالبة بالحقوق لكي يفرغ لاستخدام الإنسان والتراب والوقت استخداما فنيا لاستحداث تشكيل اجتماعي ينتج من تلقاء ذاته الحق، وذلك بمقتضى الاقتران الوثيق بينه وبين الواجب فرسم سياسة معينة معناه إعداد الشروط

[1] عصام جميل العسلي:" دراسات دولية"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 1998، ص4، 5.

النفسية والمادية للتاريخ،أعني إعداد الإنسان لصنع التاريخ»[1] فابن نبي يرى ضرورة التوفيق بين الواجبات والحقوق من أجل انعكاسها الايجابي على العلاقات بين الدول العربية والإسلامية.

-**على مستوى الصراع العربي الإسرائيلي**:إيجاد حل عادل يضمن حقوق الشعب الفلسطيني إذ يرى مالك بن نبي «لكي نواجه الخطر الصهيوني لا يكفي أن نعقد اتفاقات سياسية بين الدول العربية، بل يجب تحسين مستوى المعيشة، وعلاج الحياة الاجتماعية وإعادة تنظيم قواتنا المسلحة أولا...لأن المعيشة اللائقة هي الشرط الجوهري لتكوين الوعي الشعبي والإيمان القومي وبدون هذا الوعي وذلك الإيمان لا تساوي الاتفاقات السياسية أو العسكرية شروى نقير»[2] فعلى الحكومات العربية أن تصلح ما بداخل حدودها أولا حتى تستطيع حل مشاكلها في الخارج .

- **على مستوى الحكومات**:إنشاء هيآت حكومية مكلفة بموضوع حوار الحضارات ولقد أثير في هذا الموضوع الكثير من النظريات حيث تبنى الكثير من المفكرين والمثقفين مقولة حوار الحضارات وهي الرؤية التي دعا إليها في وقت مبكر المفكر الفرنسي المسلم رجاء غارودي وأكدها السيد محمد خاتمي في خطابه الشهير الذي ألقاه سنة 1998م في الجمعية العامة للأمم المتحدة مما حدا بها لاختيار سنة2001م عامًا للحوار بين الحضارات[3] وأصبحت هذه المقولة المقابل الأبرز لمصطلح الصدام وبين هاتين المقولتين هناك نظرية ثالثة تُعرف بـ(تعارف الحضارات)وهى أطروحة أطلقها المفكر الإسلامي زكى الميلاد في رؤية مغايرة للنظريتين السابقتين وهى نظرية مستوحاة -كما لا يخفى- من القرآن الكريم .

---

[1] مالك بن نبي: "وجهة العالم الإسلامي"، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص144.

[2] المصدر نفسه، ص146.

[3] ينظر، حمدي شفيق" الإسلام والآخر الحوار هو الحل" رئيس تحرير جريدة النور الإسلامية المصرية، ص33.

www.pdffactory.com

وقد بدأ التعريف بهذه النظرية في«1418هـ/1997م ضمن العدد16من مجلة الكلمة الفصلية التي يرأس تحريرها ثم العددين 35 و36 من ذات المجلة ، كما طرحها أيضًا في مجلة الحج والعمرة عدد ربيع الأول عام 1424هـ/ 2003م»[1] حيث يقول زكى الميلاد شارحًا نظرية التعارف أن نظرية حوار الحضارات هي نظرية أراد منها غارودي أن تكون خطاباً نقديًا وعلاجياً لأزمة الغرب الحضارية -كما يصفها- ولأنماط علاقاته بالعالم والحضارات غير الأوروبية[2]، كما أراد منها أيضًا أن تكون خطابًا موجهاً إلى الغرب بصورة أساسية لذلك فهي تنتمي وتصنف على النظريات الغربية التي تنطلق من نقد التجربة الغربية والفكر الغربي، ومن حيث نسقها المعرفي فهي تنتمي إلى المجال الثقافي وتحدد به لأنها تركز على الأبعاد الثقافية والفكرية والأخلاقية .

وأما حوار الحضارات في رؤية السيد محمد خاتمي فقد جاءت استجابة لبعض المعطيات والضرورات السياسية في الدرجة الأولى[3] ومن أجل أن تكون خطاباً نقدياً بديلاً لخطاب صدام الحضارات، وقد ظلت تتحدد في هذا النطاق، ولم تحول إلى نظرية واضحة ومتماسكة ومازال العالم العربي والإسلامي يفتقر إلى نظرية تعبر عن رؤيته في كيفية التقدم والتحضر وعن أنماط علاقاته بالعالم.

فإذا اعتبرنا صدام الحضارات بوصفها نظرية تفسيرية وحوار الحضارات بوصفها نظرية نقدية أو علاجية فإن تعارف الحضارات هي نظرية إنشائية بمعنى أن القاعدة فيها هي الإنشاء وليس الإخبار[4] فقد

---

[1] حمدي شفيق" الإسلام والآخر الحوار هو الحل" رئيس تحرير جريدة النور الإسلامية المصرية، ص33.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص33.

[3] ينظر، المرجع نفسه، ص34.

[4] ينظر، المرجع نفسه، ص35.

www.pdffactory.com

جاءت لإنشاء شكل العلاقات المفترض بين الناس كافة حينما انقسموا إلى شعوب وقبائل كما نصت الآية الكريمة التي أطلق عليها بآية التعارف ﴿ يَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[1] فالتعارف هو المفهوم العام والكلي والجامع والشامل الذي اختير في هذه الآية في تحديد النمط العام لعلاقات الناس كافة مهما تعددت وتنوعت أعراقهم وسلالاتهم، لغاتهم وألسنتهم دياناتهم ومذاهبهم تاريخهم وجغرافياتهم، ولأن خطاب الآية إلى الناس كافة، ولأن الحديث عن شعوب وقبائل وليس عن أفراد أي أنه حديث عن أمم ومجتمعات وتجمعات لذلك فقد جاز لنا تطبيق هذا المفهوم على مستوى الحضارات، ومن هنا تحدد مفهوم تعارف الحضارات فهي نظرية مستنبطة من القرآن الكريم، وهو الكتاب الذي بإمكانه تحديد وصياغة العناوين أو المفاهيم الكلية والعامة والجامعة والشاملة إذا جاءت في سياق يقتضى هذا الشأن – كما هو الحال في آية التعارف علمًا بأن جملة (شعوبًا وقبائل) لم ترد في القرآن الكريم إلا في هذه الآية لهذا فإن تعارف الحضارات فيها من المقومات، والركائز والشرائط بالشكل الذي يجعلنا نطلق عليها مصطلح النظرية.

–على المستوى التشريعي: تجريم الإساءة إلى الأديان، وذلك بعد الأحداث التي شهدها العالم الإسلامي على إثر نشر الصور الكاريكاتورية المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم، وما تلي ذلك من تفاعلات بات من الضروري توضيح الحد الفاصل بين حرية التعبير و الإساءة إلى الأديان حيث جاء في التقرير السنوي الأمريكي حول الحريات الدينية في العالم عام ألفين وأربعة «وتعترف الولايات المتحدة

[1] سورة الحجرات، آية 13.

بمسؤوليتها الخاصة بالنسبة لاحترام تلك المعايير في الحفاظ على الحرية الدينية وفي حمايتها»[1] لقد أصبح من الضروري مراقبة وملاحظة وتقييم موجات الأزمات الثقافية الإسلامية التي تندلع في الدول الإسلامية التي يصبح لها ردود فعل كبيرة في الغرب بل والتي يوظفها الغرب ضد الإسلام والمسلمين ويكون لها ردود فعل بالنسبة لمسلمي الغرب إذ لا يمكن أن يستقيم أي حوار للحضارات في غياب أي حماية قانونية للمعتقدات، فإذا كانت حرية التعبير مضمونة فلا يجب استغلالها لخلق اضطرابات اجتماعية وخلق أزمات بين الشعوب والحضارات.

[1] المؤتمر العالمي لظاهرة الإساءة للنبي وشريعته في الغرب، ورقة الشيخ ناصر العمر ، ص18www.pdffactory.com

خاتمة

يُعَدُّ مالك بن نبي رمزا لمرحلة جديدة عرفتها الأمة الإسلامية والتي تدرجت عبر: مرحلة التحرر الفكري والتحرر من الاستعمار والنفوذ الفكري والتبعية الثقافية والحضارية، ومرحلة الاستقلال الحقيقي والشعور بالذات والاضطلاع بالعبء والثقة بالقدرة على البناء، والسير بركب الحضارة بعد التحرر من رواسب عصر الانحطاط والتشويه وقلب القيم والفراغ الكوني والروحي ومن الشعور بالنقص واحتقار الذات، والإعجاب السطحي بمدينة أشرفت نهايتها وبدت عيوبها ونقائصها، ولقد فسر مالك بن نبي مفهوم الحضارة من نواحي ثلاث:

أ- من حيث تركيبها: أي من حيث العناصر الأساسية التي تتكون منها الحضارة.

ب- من حيث وظيفتها: أي باعتبار وظيفة الحضارة في المجتمع.

جـ- من الناحية التاريخية الاجتماعية: أي كيف تنشأ الحضارة وترتقي ثم تنحط أي كيفية تطور الحضارة.

-ظاهرة الحضارة هي الفكرة الأساسية التي تتمحور حولها أفكار مالك بن نبي الاجتماعية والثقافية والتربوية بل حتى السياسية والاقتصادية.

-الحضارة عند بن نبي هي المدخل المنهجي الذي اتخذه لبحث واقع المجتمع والأمة الإسلامية.

-يرى بن نبي أن لبناء حضارة يتطلب توفر العناصر الأساسية الإنسان والتراب والوقت بالإضافة إلى المكمل الرئيسي وهو الفكرة الدينية، وأن السبيل للنهوض من الحضيض هو بالعودة إلى روح الإسلام وتجسيدها في الواقع المعاش.

-الأفكار الميتة حسب رأي بن نبي هي موروثة من عصر ما بعد الموحدين وهي تعبر عن القابلية للاستعمار، وخطرها علينا أشد من خطر الأفكار المميتة الموروثة من الغرب والتي تولد الاستعمار إذ أن هذه الأخيرة لازالت تكون الجانب السلبي في نهضتنا، كما كانت تكون الجانب الايجابي القتال في عهد التقهقر وهي تتحول إلى أفكار ميتة في مجتمع يريد الحياة.

-يرى بن نبي أن الحوار هو أبسط صورة لتبادل الأفكار وهو بذلك المرحلة التمهيدية البسيطة لكل عمل مشترك.

-أما رجاء غارودي فقد كرس أنقى أيام عمره للحوار بين الحضارات والى رد اعتبار تلك التي طالما كان تاريخ الغرب جاحدا لها ومتجاهلا لفضلها.

-الإسلام في نظر غارودي يمثل قوة حية ليس في ماضيه بل في كل ما يمكن أن يبتكره ويقدمه في الحاضر والمستقبل لسعادة البشرية جمعاء.

-تحدث غارودي عن الإيمان والسياسة وخصائص التشريع الإسلامي وإنسانيته ومرونته وصلاحه لكل الأمكنة والأزمنة.

-تحدث غارودي عن الصهيونية معلنا أنها لا تمتلك في وجودها أي شرعية توراتية أو قانونية وأن جميع تصرفاتها الداخلية والخارجية برهان دامغ على عنصريتها وإرهابها، ورأى انه من الهزل مطالبة منظمة التحرير في الاعتراف بهذه الدولة الغاصبة لأن الاعتراف يعني تزكية الجريمة الصهيونية وتصفية الشعب صاحب الحق المشروع.

-أعلن غارودي بشجاعة عما توصل إليه من نتائج وأراء منصفة للإسلام ولشعوب الأمة الإسلامية ولاسيما عرب فلسطين الأمر الذي الحق به صنوف العداء وألوان الأذى، وهو ضريبة يدفعها كل ذوي الرأي والعقيدة، ولو كانت تكلفهم في بعض الأحيان حياتهم ثمنا لما يعتقدون.

-تحدث غارودي بإسهاب عن المأزق الذي تردت فيه الحضارة الغربية جراء ماديتها وانشطارها ورؤيتها الجزئية للإنسان والكون والطبيعة، فالحوار بين الحضارات حسب رأي غارودي أضحى ضرورة ملحة فالجدل العقيم لم يعد اليوم قائما أو مطلوبا بين رأسمالية غربية استعمارية واشتراكية سوفيتية فكل منهما تمثل اليوم نفس الغاية والهدف.

-اهتم غارودي بالقضايا الإنسانية، وكان في كل منها صاحب موقف وكان موقفه ينبثق دائما عن عقيدة، ومن أهم وأبرز مواقفه دفاعه عن إنسانية الإنسان ومهاجمته للعنصرية بكل صورها قديما وحديثا ومطالبته بالمساواة بين البشر وتحقيق العدل والحرية من خلال منهج سليم يربط الأرض والسماء.

-ومن خلال فكري مالك بن نبي ورجاء غارودي نستنتج أن الأول كان منظرا، والآخر كان باحثا، وبن نبي اعتمد على الفكرة الدينية كسبيل للنهوض بالأمة الإسلامية، بينما غارودي توصل إليها من خلال إسلامه.

قائمة المصادر والمراجع

1. مالك بن نبي:«آفاق جزائرية»، إشراف ندوة مالك بن نبي، مكتبة عمار، طبعة2، 1971م.
2. مالك بن نبي:«إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث»، دار الإرشاد بيروت،د.ط 1969م.
3. مالك بن نبي:«بين الرشاد والتيه»، إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر دمشق،د.ط 1978م.
4. مالك بن نبي:«تأملات»، إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر لبنان، دار الفكر سوريا،د.ط، 1979م.
5. مالك بن نبي: «شروط النهضة»، ترجمة: عبد الصبور شاهين وعمر مسقاوي، دار الفكر دمشق-سوريا،د.ط، 1986م.
6. مالك بن نبي:«القضايا الكبرى»، إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر لبنان، دار الفكر دمشق-سوريا، د.ط،1991م.
7. مالك بن نبي:«الظاهرة القرآنية»، ترجمة: عبد الصبور شاهين، تقديم: محمد عبد الله دراز ومحمد شاكر، دار الفكر المعاصر بيروت، طبعة4، 1987م.

8. مالك بن نبي:«فكرة كمنويلث»، ترجمة: الطيب الشريف، دار الفكر المعاصر لبنان، دار الفكر سوريا، د.ط، 2002م.

9. مالك بن نبي:«في مهب المعركة»، إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر سوريا،د.ط 1981م.

10. مالك بن نبي:«مذكرات شاهد القرن» القسم الثاني:الطالب، إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، د.ط، سوريا، 1980م.

11. مالك بن نبي:«مذكرات شاهد القرن» القسم الأول:الطفل، إشراف ندوة مالك بن نبي دار الفكر سوريا، د.ط، 1969م.

12. مالك بن نبي:«المسلم في عالم الاقتصاد»، إشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق ط3 1987م.

13. مالك بن نبي:«مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي»، ترجمة: بسام بركة وأحمد شعبو، تقديم عمر مسقاوي، دار الفكر، دمشق-سوريا، د.ط، 2002م.

14. مالك بن نبي:«مشكلة الثقافة »مشكلا الحضارة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر سوريا طبعة4، 1984م.

15. مالك بن نبي:«ميلاد مجتمع»، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، د.ط 1981م.

16. مالك بن نبي:«وجهة العالم الإسلامي»، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر دمشق، د.ط 1986م.

ك. روجيه غارودي

1. روجيه غارودي:« الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية»، ترجمة:محمد حسنين هيكل، دار الشروق، القاهرة، طبعة4، 2002م.
2. روجيه غارودي:«إسرائيل بين اليهودية والصهيونية»، ترجمة: حسين حيدر، دار التضامن بيروت،د.ط، 1990م.
3. روجيه غارودي:«أرض الرسالات السماوية»، ترجمة: قصي أتاسي و مشيل واكيم، دار طلاس دمشق، د.ط، 1991م.
4. روجيه غارودي:«حفارو القبور» الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها، ترجمة: عزة صبحي، دار الشروق، القاهرة، د.ط، 1999م.
5. روجيه غارودي:«في سبيل حوار الحضارات»، تعريب: عادل العوا، عويدات بيروت، طبعة4 1999م.
6. روجيه غارودي:«غارودي يقاضي الصهيونية الإسرائيلية»، ترجمة رانيا بونا ضيف وبيار ريشا مراجعة: هنري زغيب، دار عويدات بيروت، د.ط، 1999م.
7. روجيه غارودي:«لماذا أسلمت؟»نصف قرن من البحث عن الحقيقة، ترجمة: محمد عثمان الخشن، مكتبة القرآن، القاهرة، د.ط، د.س.

8. روجيه غارودي:«وعود الإسلام»، ترجمة: ذوقان قرقوط، دار الرقي بيروت، مكتبة مدبولي القاهرة، د.ط، 1985م.

9. روجيه غارودي:«الولايات المتحدة طليعة الانحطاط»، نقله للعربية: مروان حموي، دار الكتاب د.ط، 1998م.

المراجع:

1. آمنة تشيكو:«مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرلوند توينبي»، المؤسسة الوطنية للكتاب د.ط،1989م.

2. أحمد بناسي:«المدخل إلى فكر مالك بن نبي»، الجاحظية، الجزائر، د.ط، 2006م.

3. أحمد شلبي:«صراع الحضارات في القرن الحادي والعشرين ودور الحضارة الإسلامية في هذا الصراع»، مكتبة النهضة، القاهرة، د.ط، د.س.

4. أحمد عبد الرحيم مصطفى:«الولايات المتحدة والمشرق العربي»، عالم المعرفة، الكويت، د.ط 1978م.

5. أسعد السحمراني:«مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا»، دار النفائس، بيروت، ط2، 1986م.

6. أسوالد شبلغر:«تدهور الحضارة الغربية»، ترجمة أحمد الشيباني، جزء1، د.ط، دار الحياة، بيروت د.س.

7. أمينة الصاوي وعبد العزيز شرف:«رجاء غارودي وحضارة الإسلام»، دار مصر للطباعة، د.ط د.س.

8. بن براهيم الطيب:«مواقف وأفكار مشتركة بين مالك بن نبي وابن خلدون»، دار مدني الجزائر 2008 م ، د.ط.

9. حسان حلاق:«ملامح من تاريخ الحضارات»، الدار الجامعية، بيروت، د.ط، 1991م.

10. حسين مؤنس:«الحضارة» دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة، الكويت ط2 د.س.

11. سلامة صالح النعيمات وآخرون«لحضارة العربية الإسلامية»، الشركة العربية المتحدة، ط9 2008.

12. طه حسين:«فلسفة ابن خلدون الاجتماعية»، ترجمة محمد عبد الله عناد، مطبعة الاعتماد مصر د.ط، د.س.

13. عبد الرحمان ابن خلدون:«مقدمة بن خلدون»، دار الكتب العلمية بيروت، ط4، 1978م.

14. عبد اللطيف عبادة:«فقه التغيير في فكر مالك بن نبي»، عالم الأفكار الجزائر، ط2، 2007م.

15. عبد العزيز قاسم:«نهاية التاريخ تحت مجهر الفكر العربي»، حوار فوكوياما بمرآة المثقفين العرب العبيكان المملكة السعودية، د.ط، 2007م.

16. عدنان سعد الدين:«حوار مع الأستاذ رجاء غارودي»، دار التضامن القاهرة، د.ط، 1984م.

17. عصام جميل العسلي:«دراسات دولية»، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، د.ط 1998م.

18. فوزية بريون:«مالك بن نبي»، عصره وحياته ونظريته في الحضارة، دار الفكر سوريا، د.ط 2010م.

19. مايكل كاريذس:«لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة؟» الثقافات البشرية، ترجمة شوقي جلال، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1998م.

20. أبو المجد أحمد:«رجاء غارودي رحلة فكر وحياة»، دار البعث، الجزائر، د.ط، 1983م.

21. محمد محمد حسين:«الإسلام والحضارة الغربية»، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1982م.

22. نور الدين خندودي:«مالك بن نبي الحقيقة والمال»، عالم الأفكار، الجزائر، ط2، 2008م.

المعاجم

1. مجدي وهبة وكامل المهندس:«معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب»، مكتبة لبنان،ط2 1984م.

2. محمد فريد وجدي:«دائرة المعارف القرن العشرين»، المجلد3، ط3، دار المعرفة، بيروت.

3. مجمع اللغة العربية:« المعجم الوسيط»، دار الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004م.

4. ابن منظور:«لسان العرب»، تحقيق عامر أحمد حيدر، وراجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم مجلد1، د.ط، دار الكتب العلمية، لبنان، د.س.

1. حسين موسى محمد العقبي:«مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة» مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة ، إشراف: صالح حسين الرقب.
2. فيصل بن قرطبي:«مالك بن نبي ابن خلدون القرن العشرون»، مذكرة لنيل شهادة ليسانس إشراف: فيصل فرحي، جامعة يحي فارس، المدية، الجزائر، 2010م.
3. وهيبة بن عدة:«الصراع الحضاري بين الشرق والغرب في كتابات مالك بن نبي»، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، إشراف: شريف بموسى عبد القادر، جامعة تلمسان، 2011م.

المواقع الالكترونية

1. حمدي شفيق:«الإسلام والآخر الحوار هو الحل» رئيس تحرير جريدة النور الإسلامية www. pdffactory.com
2. «المؤتمر العالمي لظاهرة الإساءة للنبي وشريعته في الغرب»ورقة الشيخ ناصر العمر www.pdffactory.com
3. موقع google: بوابة الأخبار المصرية، تاريخ الصدور 15 يونيو 2012م.

خطة البحث

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة..... ص (أ-ج)

مدخل: مفهوم الحضارة.....ص(1-13)

الفصل الأول: الحضارة عند مالك بن نبي.

1- حياة مالك بن نبي وظروف نشأته.....ص14

أ-حياته.....ص14

ب- ظروف نشأته.....ص17

ج- مالك بن نبي المفكر.....ص19

د- آثار بن نبي ونتاج فكره.....ص22

2- نظرية مالك بن نبي في الحضارة.....ص(30-43)

أ- عناصر العملية الحضارية.....ص32

ب- ماهية الحضارة.....ص34

جـ- الدورة الحضارية.....ص37

د- شروط الإقلاع الحضاري.....ص39

3- الإسلام ومستقبله عند مالك بن نبي.....ص(43-52)

أ- مفهوم الإسلام.....ص44

ب- أسباب ضعف المسلمين.....ص45

جـ- البناء الحضاري.....ص49

الفصل الثاني: الحضارة عند رجاء غارودي.

1- روجيه غارودي حياته وظروف نشأته.....ص(53-65)

أ-حياته.....ص53

ب- مؤلفاته.....ص55

جـ- الأساطير الإسرائيلية.....ص61

د- الماركسية عند غارودي.....ص63

و- إسلام غارودي.....ص65

2- الحوار الحضاري..... ص(66-73)

أ-الحوار والإسلام.....ص66

ب-عقدة مارثون.....ص68

ج-صراع الحضارات..... ص69

د-الصراع الحضاري عند مالك بن نبي.....ص71

3- الحوار الحضاري عند رجاء غارودي.....ص(73-93)

أ-مالك بن نبي والتعايش الثقافي.....ص81

ب-الحلول المقترحة لإنجاح الحوار الحضاري.....ص83

خاتمة.....ص(94-96)

قائمة المصادر والمراجع.....ص(97-103)